العرفان والتصوّف

إشكاليّات ومحاورات

مع الشيخ علي الكوراني العاملي

جمع وإعداد وتقديم

علي حمزة زكريا

العرفان والتصوف

إشكاليات ومحاورات

مع الشيخ علي الكوراني العاملي

جمع وإعداد وتقديم

علي حمزة زكريا

بسم الله الرحمن الرحيم

عنوان الكتاب: العرفان والتصوف، إشكاليات ومحاورات مع الشيخ علي الكوراني العاملي

المؤلف: الشيخ علي الكوراني العاملي

جمع وإعداد وتقديم: علي حمزة زكريا

السنة: ربيع الآخر ١٤٣٩ هـ / ديسمبر ٢٠١٧م

عدد الصفحات: ٢٥٤ (١٤,٨×٢١ سم)

الطبعة: الاولى (إلكترونية)

يجوز نشره ونسخه وتصويره مع الاشارة للمصدر

الآراء والكتابات في هذا الكتاب آراء شخصية تمثل وجهة نظر كُتّابها

ولا يتحمل المُعد أو الناشر مسؤوليتها

alizk85@Gmail.com

الفهرس

توطئة ١١

مـقـدمـة: العرفان والتصوف المدخل إلى الدين الجديد ١٤

أهل البيت عليهم السلام دعوا إلى معرفة الله ٨٩

شكوى الشيخ الأنصاري مـــــــن مُـدَّعي العرفان ٩٤

العرفان حق لكن صاحبنا ليس هو المطلوب ١٠٤

معنى قول أمير المؤمنين عليه السلام: من عرف نفسه فقد عرف ربه ١٢٥

إشكاليّة الدعوة إلى معرفة الله تعالى عن طريق معرفة النفس! ١٧٧

اختراع المقامات ١٨٧

خلاصة عن العرفان ١٩٧

ما المانع من عصمة غير المعصوم؟ ٢٢٦

توطئة

هذا الكتاب، ليس هدفه مهاجمة العرفان كمدرسة أو الدعوة لغيره من المناهج، بقدر ما هو استعراض حواري يعرض لرأي مخالف لبعض أطروحاتها وما يتم الترويج له عنها؛ وما هنا إلا نقلٌ لحوارات جرت قبل سنوات على صفحات شبكة هجر، نقلتها كما هي قدر الإمكان، متصرفًا في كثير منها بالتصحيحين الإملائي والنحوي فقط، وإعادة الصياغة لبعض العبارات دون أن يتم المساس بمعناها ومفادها حتى لا تفقد هذه الحوارات هدفها. كما أنني إلى جانب ذلك أهملت بعض المداخلات الجانبية ولم أنقلها بل ركزت على ما أراه مفيدًا ومتعلّقًا بصلب الموضوع الذي نحن بصدده، ولهذا فإنني تجاوزت ربما بعض المشاركات التي ناقَشَتْ في الشخصيات وتقييمها والجدل حولها كابن عربي، والهروي، وغيرهم، ومع ذلك فقد مر بعضها في هذا الكتيّب لما اقتضاه ما أراه ضرورة وحفاظًا على سياق المنقول.

أما بعض المداخلات، وهي قليلة، فقد تصرفتُ فيها بالجمع والضم لكونها تصب في نفس المصب ولعدم تشتيت القارىء، ولمن شاء أن يرجع لهذه الحوارات كاملة فهي لا تزال مبثوثة في الانترنت على شبكة هجر بين المواضيع المختلفة، ولا يمكن لخاصية البحث أن تخطئها.

أخيرًا، هذا الجهد ناقص والإنسان متكامل، فما فيه من فائدة لا يصح الوقوف عندها فقط والاكتفاء بها بل اللازم أخذها وتطبيقها والعمل بها وزيادة التدبر فيها، وطلب المزيد من العلم بها بقدر ما تسع نفس الباحث لذلك.

والشكر الجزيل لسماحة **الشيخ علي الكوراني العاملي**، المشار إليه بلقب "**العاملي**" في هذا الكتيّب، على ما خطته يده ومساهمته الفعّالة في النقاش، ممّا ساعدنا على اخراجه بهذه الصورة.

والحمد لله ربّ العالمين

المُعدّ

مقدمة

العرفان والتصوف: المدخل إلى الدين الجديد

كتب: علي حمزة زكريا

ليس غاية هذا الكتاب أن يشرّع طريقة، أو يحدد مسلكًا للعرفان، والسير والسلوك، ولكنه يريد الإشارة إلى قضية بدأت تتموضع في محيطنا وتنتشر، وهي حالة من التمييع العقائدي، والنعومة الفكرية القائمة على اعادة تعريف الدين على أنه مجرد نشاط روحاني هدفه (مقصده) إحلال السكينة والطمأنينة في النفس، لا أنه أمر عقلي يخضع فيه صاحبه للتكليف! مستغلة بذلك تراثًا كبيرًا مثّله المتصوفة والعرفاء في الولوج إلى الساحة الإسلامية

لإعادة تشكيلها دون معارضة، ومستندة على ما تبشر به نظريات الغرب الحديثة عن صدام الحضارات وعن كون الأديان هي السبب الرئيس في الصراعات والنزاعات الإنسانية، والمنحدرة بهم إلى الحضيض[١].

لذلك صارت غاية الكتاب أن يطرق جرس التنبيه حتى يكون المرأ منتبهًا وعارفًا بحقيقة الدعاوى التي تطلق وتجذب لها الجاذبين وتصنع المريدين، ويكون مطلعًا وواعيًا لما يحاك له في أثمن ما يملك وهو عقيدته على أيدي المدعين وعملاء الشياطين، وهذه رسالة تنبيه كذلك إلى المنتمين لهذه المدرسة العرفانية إلى الوعي بالإلتقاطية التي تمارس تجاههها، وطريقة استغلالها من قِبل دعاة الدين الجديد، وألا يكون هاجسهم

[١] جهاد إلياس الخوري، علوم الروح، ج١ ص ١١.

بإزالة الوصمة عنهم، واعادة دمجهم في المحيط الديني بل والرغبة في تسيّده، سببًا في موافقتهم على هذا التشويه المتعمد طمعًا بذلك.

العرفان والتصوف: تقاطع وافتراق

إن طبيعة العلوم متفاوتة ومتغايرة بحسب غاياتها وإن جمعها اسم العلم، وتزداد درجة التغاير بدخول هذا العلم ساحة التطبيق، فالمزاوجة بين النظرية والتطبيق يكشف مكامن الصعوبة؛ وليست الصعوبة في مطابقة ما بإمكان الذهن تصوره وتشييده في ساحته دون منغصات وعوائق الواقع، بل في نزول هذا الأمر من ساحة الذهن إلى ميدان الواقع بما فيه من اختلافات لا يمكن للورقة والقلم أن تتنبأ بها وتتوقعها قبل حدوثها.

إن العلم كلما اشتدت صعوبته كلما انحصر ميدانه في فضاءات الذهن أكثر من ميادين الواقع، وكلما صار بحاجة إلى أذهان

محدودة بعددها لأن انتشارها بين العوام يجعلها علومًا عامية غير منضبطة تفسد أكثر مما تصلح، وطبيعة بعض العلوم أن عِقالها إذا انفلت صارت مفسدة، سيما إن خالطتها طبيعة هذه النفس الإنسانية الأمّارة بالسوء.

يشير بعضهم إلى التصوف والعرفان إلى أنهما شيء واحد، وهو أمر لا يوافق عليه كثير من علمائنا. فالتصوف قد ارتبط برموز المخالفين، والعرفان هو التهذيب الشيعي له.

استنادًا على ذلك يفرّق بعضهم بالاشارة إلى أن التصوف هو سلوك الزاهدين في هذه الدنيا المهذبين لبواطنهم العاملين على تنقية أنفسهم وبهذا المعنى تكون كل المذاهب الإسلامية صوفية ويكفيك في اثبات ذلك مراجعة الكتب الأخلاقية؛ والعرفان

على أنه توجه نحو الحق سبحانه لاستمداد اشراق النور الإلهي في سرّ السالك. والسبب في هذا التفريق هو ما جرّه التصوف من لوازم فاسدة خصوصًا منذ زمن الإمام الرضا عليه السلام[١] استغلها المدعين حتى صدرت فيهم روايات شريفة، وهاجمهم علماؤنا قدس الله أسرارهم، وبعضهم لا يفرق بين التصوف والعرفان بتاتًا. وآخرين لا يفرّقون بينهما إلا بوصف العرفان على أنه غاية التصوّف[٢] ولهذا فإن "العرفان أعلى من التصوّف، لأنّ التصوّف أسلوب وطريقة نابعة من العرفان. وهذا يعني أنّ النسبة بينهما نسبة العموم والخصوص المطلق.

---

[١] سيد حسين نصر، The Sufi Essays.

[٢] شهرام بازوكي، الدين والتصوف والعرفان: العلاقة والاترباط، مجلة نصوص معاصرة، ديسمبر ٢٠١٤م

فكلّ عارف متصوّف، وليس من الضروري أن يكون كلّ متصوف عارفاً"[١].

فالحالة المنقودة ليست في التصوف والعرفان بما هو مسلك أخلاقي، وسلوكي منضبط بضوابط الشريعة المقدسة، ملتزم بالعقائد الحقة، من زهد في الدنيا ورغبة في الآخرة، إنما هو فيما تم ابتداعه من مدارس جعلت من التصوف والعرفان علومًا شائكة، وأسرارًا غامضة[٢]، رشحت منها لوازم فاسدة أدت إلى مزيد من الفساد على الواقع، وحين جوبهت لجأ أصحابها إلى

[١] مركز نون للتأليف والترجمة، مبادئ علم العرفان، ص ٣٠.

[٢] ولعل السبب في ذلك ليس تشفير الكلام حتى لا يقع بيد غير أهله كما هو معتاد في تبريره، بل عدم عناية العرفاء بالمستوى الجماعي للدين وقصرهم الشريعة على الأمور الفردية (انظر: مجموعة مؤلفين، دراسات في تفسير النص القرآني، ج٢ ص٢٩٠)

التأويل وادعاء الباطن، ووصفها بالذوق الذي يجب أن يُدرَك، لا بالعقل الذي يُدرِك[١].

وطبيعة الإنسان المادية الكثيفة مجذوبة ومضطرة للتعامل مع ملوثات هذا العالم الدنيوي، لذلك فإن الرغبة بالسمو والتطهر والإنعتاق من ظلمانية هذا الوجود الدنيوي لا تنفك تطل برأسها وتدعو الإنسان إلى أن يفلت ويكسر قيده ويعود لحالته الأولى، مادة لطيفة منجذبة لنور مبدأ الوجود.

من هنا يتضح لنا لماذا هذا العصر برتمه السريع، وبماديته البحتة، قد استدعى تراث الإنسانية الروحي في محاولة لتخليص الإنسان

[١] ".. كلمات غير مفهومة، لها ظواهر رائقة، وفيها عبارات هائلة، وليس ورائها طائل، وتدهش العقول، وتحير الأذهان، أو يحمل على أن يفهم منها معان ما أريد بها، ولا يكون لها مفهوم عند قائلها أيضًا، بل عن خبط في عقله، وتشويش في خياله" صدر المتألهين، كسر أصنام الجاهلية، ص ٧٠.

من ثقل حمله ومساعدته على التوازن فيه، خصوصًا وأن الغرب المتطور آليًا لم يتطور إنسانيًا. تطورت آلاته وتطورت معها الانظمة القانونية التي تكفل سيرها وعملها دون مشاكل،وهو ما انتج حقوق العمال وحقوق المواطنين الذي يمثلون المشغلين والمستهلكين في نفس الوقت، لذلك كان هذا الاستدعاء ناقصًا، آثر فيه أصحابه أن يستدعوا شيئًا من الآداب، وأن يركزوا على السلوكيات وبعض الروحانيات دون جوهر الدين، لأن الدين كمنظومة كاملة (تضع قيمة غيبية للعمل، والنيّة، والاعتقاد، وتتسامى على البُعد المادي المجرّد) تقف ندًا أمام طوفان المادية، وبهرجة الآلة الصناعية التي حولت الإنسان إلى كائن مستهلك ورقم إحصائي في عالم خالٍ من القيمة (value free).

إن العاصفة التي تجتاح العالم الإسلامي اليوم، بعنوان التطوير والحداثة، بعد أن استوعب المسلمون تخلّفهم عن الحضارة الغربية، أتت محملةً برؤى غربيّة، عاشت ونمت وترعرعت تحت سلطة مازجَت فيها بين الأخلاق المسيحية، والعقائد الاغريقية، وطبيعة الغرب أنه يريد من الآخرين أن ينفتحوا عليهم لا العكس، لأن عقولهم – وهذه شهادة ينطق بها البروفيسور سيد حسين نصر[1] – تعجز عن استيعاب ثقافة الآخر المخالف لهم. فهم يعتبرون أنفسهم المعيار والميزان لا في حضارتهم فقط بل حتى في ثقافتهم وسلوكهم، وأحكامهم وعلاقاتهم الاجتماعية، وفي النظرة للآخر المختلف عنهم[2]؛ لذلك قهروا الأمم –

---

[1] راجع: "إطلالة على آراء الفيلسوف "سيد حسين نصر" وموقفه من الحداثة"، موقع وكالة مهر للأنباء.

[2] انظر ما كتبه فرانز فانون مثلاً في كتابه (بشرة سوداء، أقنعة بيضاء) عن التعامل الثقافي (الأبيض) ص ١٦٣–١٦٥.

بالاستعمار والاحتلال والتبعية الاقتصادية - على متابعتهم في نُظم تعليمهم النظامية المادية، وتقديسهم للعامل الاقتصادي، وجنوحهم المزمن نحو التجريب ونفي مستقلات العقل.

الدين والتدين المعاصر

لم يخل إنسان من جنبة تديّن. هذه الحقيقة لا يمكن تجاوزها، كانت ولا زالت مشكلة الإنسان مع تصوره اللاهوتي وما يستتبعها من تكاليف إلهية وليست مع الدين بحدّ ذاته. هذا الأمر يمكن ملاحظته جيّدًا في التحوّل الذي حصل مع الإنسان في "إيمانياته" التي تحكم مسيرته، من الإيمان بالطبيعة إلى إزاحة المقدس والإيمان بالذات الإنسانية الفردية. فالإنسان كائن متدين.

لكن الحضارة الغربية عندما أتتنا بحكم كونها الغالبة والمسيطرة لم تأت مؤمنة بالله[1]، إنما أتت محملة بإرث ضخم من الوثنية

[1] "ولذا فدائمًا ما أشير إلى ما أسميه "العلمنة البنيوية الكامنة" لوصف ما أتصور أنه أهم أشكال العلمنة وأكثرها ظهورًا وشيوعًا. والتي تتسرب لنا، وتتغلغل في وجداننا، دون أي شعور من جانبنا، من خلال منتجات ←

الاغريقية الممزوجة بالتعاليم المسيحية مع صراعات قديمة وعميقة عن مفهوم الإلوهية والدين. هذه الحضارة حطت رحالها قسرًا واجبارًا عندنا بعد أن تركت إلهها الأخير، وآمنت بإله "ليس إلهًا أخلاقيًا"[1] أنتج لها فكرًا علمانيًا، وصناعة متطورة، وحضارة مادية أحادية البُعد، تطحن في سيرها نحو ترويج الاستهلاك وتعظيم القوة واحترام رأس المال كل الخصائص البشرية المتجاوزة لطبيعة المادة، والتجريب، والأدوات الصناعية.

حضارية يومية وأفكار شائعة وتحولات اجتماعية تبدو كلها بريئة أو لا علاقة لها بالعلمانية أو الإيمانية، ولكنها، في واقع الأمر، تخلق جوًا خصبًا مواتيًا لانتشار الرؤية العلمانية الشاملة للكون، وتصوغ سلوك من يتبناها وتوجهّه وجهة علمانية" عبد الوهاب المسيري، العلمانية والحداثة والعولمة، ص ١١٢.

[1] إسماعيل مهنانة، "الإلهي، المقدس والدين في فكر هيدغر"، مجلة قضايا إسلامية معاصرة، العدد ٤٥-٤٦، ص ٢٣٥.

لقد حاول الإنسان الإنعتاق من هذا الضغط اليومي، والهروب من الإنسحاق تحت الآلة الصناعية، لكنه وقف عاجزًا بعد أن رأى الأديان قد تنازلت عن شعائرها وسلوكياتها فغدت ميتة هي الأخرى، "لأن الدين لا يبقى حيًّا إلا بوجود الأنشطة العبادية"[1]، دفعه هذا الأمر إلى أديانٍ بديلة أوجدها العصر الحديث، أديان تشكل عامل جذب من ناحية خياليتها وغموضها وسهولتها، فبرز "الخيميائي" لباولو كويلو، "هاري بوتر" لرولينغز، و"قواعد العشق الأربعون" لأليف شفق، وأمثالها من روايات وقصص وكتب هي في واقعها ليست أكثر

[1] يورغن هابرماس، هذا سبيلنا إلى مجتمع عالمي ما بعد علماني، دورية الاستغراب العدد ٨ ص ٢١.

من دورات تنمية الذات مطعمة بشيء من القصص والأشعار والأقوال التحفيزية الجميلة[١].

اندفع الإنسان المعاصر لها، لأن الإله الذي اختاره هذا العصر "ليس إلهًا أخلاقيًا لأنه لا يأمر ولا ينهى فهو إله الشعر وليس إله الوحي"[٢]. لقد برز هنا الدين الجديد لهذا العصر، دين يفضل صاحبه فيه، بعد أن نشأ وتعلم في مواطن تكوينه على أنه المركز

[١] ومثلها ما يتم ترويجه من كتب لـ"أوشو" و"ايكهارت تول" وغيرهم؛ وانتشارها وسعة توزيعها لا يمكن تفسيره بالعشوائية والصدفة دون وجود تدخلات في سوق النشر العالمي الذي تسيطر عليه امبراطوريات إعلامية مرتبطة بأنظمة وكيانات ضخمة ومؤثرة. ولو تأملت في حقيقة هذه الأطروحات لرأيتها كلها أطروحات تخديرية تريد أن تقنعك بأنه لا مشكلة مع هذا النظام الرأس–مالي المادي الحاكم إنما المشكلة فيك أنت أيها الإنسان العاني، فعليك أن تصحح من نفسك وتصحح من رؤيتك وتنساق مع النظام وتكافح حتى ترى جماليّة العالَم، وليست المشكلة في هذا النظام المتغوّل والقباحة المترشحة منه والصعوبات التي يختلقها لسحق الطبقات الفقيرة والمتوسطة!

[٢] إسماعيل مهنانة، "الإلهي، المقدس والدين في فكر هيدغر"، مجلة قضايا إسلامية معاصرة، العدد ٤٥–٤٦، ص ٢٣٥.

والأصل وأنّ لا بُعد آخر له سوى بُعد المادة والمنفعة[١]، أن يقوم بالانتقاء والتخير من الديانات والعقائد ما يحلو له ويدع ما لا يعجبه، متبعًا بذلك آراءه المتغيرة، ومقدمًا شكلاً جديدًا من التدين مشابهًا لما يختاره رواد المطاعم من لائحة الطعام[٢].

لم تترك رؤوس الأموال هذه الفرصة دون استخراج أرباحٍ منها، فحولت الأديان والعقائد إلى سلع، وشيّأتها، ثم عرضتها في سوق ديني ممتاز كما تعرض الأزياء والسلع. فانبتت البوذية القادمة من آسيا في التربة الغربية، لكونها نمط معيشة لا يرى نديّة له في مادية الغرب، وازدهر التصوف والروحانيات

---

[١] يقول ملا صدرا رحمه الله: "أكثر الناس انتفاعهم بالسمعيات أكثر من العقليات، ولا يصدّقون بالأشياء إلا بالمكافحة الحسّ للمحسوس، ولا يذعنون بالعقليات ما لم يقترن معها انتهاء نقلها إلى محسوس.." الأسفار، ج٩، ص ٣٠٣.

[٢] حسن سرات، عودة الأديان وتحولات الإيمان بالغرب، موقع الجزيرة.

والفلسفات الغنوصية القديمة، بل أطل التفكير السحري والخرافي من جديد ورُوّجت ثقافة الأبراج والأفلاك وعبادة الشيطان والملائكة والجن وسكان الكواكب البعيدة وغيرها[١]. لقد تحولت البوذية إلى محاضرات في الغرب يكلف حضورها المال، وإلى جلسات تأمل تحتاج إلى قاعات ومدربين وبرامج تلفزيونية ومطبوعات تعلمهم اليوغا، وصارت الهندوسية رحلات سياحية إلى الهند، ومغامرات اكتشاف في نهر الجانج، وبات التصوف فنونًا في الرقص، ومسرحًا للدائرين، وخيالات شعرية سهلة المخاطبة للنفس، ومع هذا كله ظلّ هناك جزء يُراد له أن يعطي الإنسان ما يريده من الدين، دون أن يلزمه بتكاليف تتعارض مع الأسس الرأسمالية الحاكمة، فقرر التيار المسيحي

[١] حسن سرات، المصدر السابق.

الليبرالي الذي يحكم نخبة الغرب أن الجوهر للدين هو في التعاليم الأخلاقية وليس في المباديء التقليدية[١]. وتلّقف المغلوبون هذه التعليمات من الغالب برحابة، فصار الدين في القلب، والحقيقة في الجوانح لا فيما تمارسه الجوارح، والعقيدة باتت خطابات عاطفية يكفي الإيمان بها عن الاتيان بالتكاليف الواجبة[٢] وأُعيد تكييف النصوص الدينية لتناسب هذه الرؤية،

---

[١] محمود حيدر، أميركا بما هي دولة دينية: مثلث الأصولية والليبرالية والإنجيلية، دورية المنهاج العدد ٥٦، ص ١٧٤.

[٢] اعتبار أصل العلاقة بين الخالق والمخلوق الحب، ثم تفسير هذا الحب بالتفسير الرومانسي على انه علاقة جذب وانجذاب وصولاً إلى الوحدة أعاد تعريف العبادات على أنها مجرد مظاهر ارتباط بالحق حيث لم تدرك النفوس الحق إلا في مقام التشبيه والتجسيم، وعند العقلاء فمرتبة الارتباط بالحق مقيدة بالتجريد لعدم مناسبة التشبيه والتجسيم للعقل، بينما الانسان الكامل أو العارف فهو الذي يقبل الحق ويهتدي بنوره في جميع تجلياته وصولاً إلى الوحدة العينية معه "عزَ وجلّ"! وهو السبب في استخفاف العرفاء والمتصوفة بعبادات أهل الظاهر وبتجريدات أهل العقل لأنهم لا زالوا لم يصلوا إلى طور فوق طور الحس والعقل! وتسربت هذه الفكرة — دون مقدماتها – من خلال التركيز على مفاهيم الحب والجذب والعلاقة القلبية إلى عوام الناس فصار الأصل هو ما في القلب لا ما في الظاهر من أفعال وبدأ أهل المعصية يبررون معصيتهم بأن حقيقة الإيمان قلبية لا ظاهرية، وهي عبارة ترجع في جذورها إلى مفهوم العرفاء والمتصوفة واعتبارهم كون المعصية هي تجل لاسم من أسماء الله وهو المضل فالمعصية هي عبادة في حقيقتها الواقعية! وهو كلام واضح البطلان خصوصًا مع وضوح النصوص الدينية في هذا الباب؛ ناهيك عن←

من خلال إعادة تأويل وصياغة الروايات الشريفة عن المعصومين عليهم السلام لخدمة هذا الهدف، فترى الاستشهاد بروايات عن كون أن الدين هو الحب، ثم يربطون هذا الحب بالمفهوم الرومانسي لا بالمفهوم الحقيقي الذي هو الاتباع والمشاكلة، وغيرها من نصوص يعيدون تأويلها بعد أن اسقطوا حجية ظواهر النصوص هربًا من الانضباط بمعايير لا يمكن التلاعب بها. وهكذا صار الله سبحانه بحسب مفهومهم مكتفٍ بقلوب عباده[1]!

الجَبر المبطن في هذه الدعاوى التي لا ترى حرية اختيار للفرد فكل نواحيه تجل لله عز وجل وعليه فلا محل للحساب والعقاب وهو ما دفع بعض العرفاء إلى اعتبار العذاب من العذوبة وهو الإلتذاذ بالعقاب لمناسبته لطبائع أصحابه! للمزيد راجع: يحيى محمد، الفلسفة والعرفان والاشكاليات الدينية ص ٤٠٧ وما بعدها، وكذلك عبد الجبار الرفاعي، انقاذ النزعة الانسانية في الدين؛ وغيرها.

[1] "فإن مثل هذا الكلام يستلذه طبائع الانام، إذ فيه البطالة في الأعمال بتزكية النفس بدرك المقامات والاحوال، فلا يعجز الأغنياء عن دعوى ذلك لأنفسهم، ولا عن تلفيق كلمات مخبطة مزخرفة" صدر المتألهين، كسر أصنام الجاهلية، ص٧٠. وقارن كلام ملا صدرا رحمه الله بالواقع الآن، خصوصًا مع ازدياد رفاهية البشر وترفهم، ←

هل العرفان إسلامي؟

إن الخطأ يلازم الكثير من المتحدثين حين يعتبرون أن السير والسلوك هي مصطلحات إسلامية، وناشئة من الإسلام فقط، لأن الحقيقة هي أن التصوف والعرفان والسير والسلوك هي حالات إنسانية لم تفارق أي جماعة إنسانية يومًا طوال التاريخ، فهذه اليهودية تحتوي على الكابالا ولا يمكن تجاوز الغنوصية في المسيحية وغيرها من الرياضات الباطنية والروحانية[1].

وليس المسلمون بعيدون عن الوقوع في هذه الدائرة، فإن النفس الإنسانية المنشغلة دومًا بكدورات هذه الحياة الدنيا، وما فيها من

ومدى ثراءه أصحاب هذه الدعاوى الفاسدة واستغلالهم الكلمات لخلق الاتباع واستنزاف الأموال! والمستوى المعيشي لاتباعهم ممن اصيبوا بتخمة الفراغ فلجؤوا للبحث عن معنى فيما هو سهل ولذيذ!

[1] حامد طاهر، معالم التصوف الإسلامي، ص٨.

مفاسد تُبعد الإنسان عن حقيقة كونه مخلوق لعالم أرحب وأوسع من هذا العالم، واحساسه الكامن بالسعي نحو الكمال الذي تنشده النفس بطبيعتها، تجعله يسعى دومًا للبحث عن المطهرات ومزيلات الكدورات عنها، فتنجذب للروحانيات، وتصطنعها في أحيانٍ أخرى، فترى دائمًا الفلسفات الروحانية في انتشارٍ وتمدد، وترى الإنسان الباحث عن الكمال إن أخطأ طريق الكمال وتصوره في تسلطه الدنيوي، ركب مطية الأخلاق والروحانية وتأمّر بها على الناس ليأخذ مباهج الدنيا بعنوان الزهد فيها.

وفي هذا العصر، فإن مقتضى الفساد الذي وصلت له البشرية اليوم وملهياتها ولّد حالة الإرتداد العكسي عند البشر، فبدأ التوجه نحو الهيبيز وانتشار البوذية والكابالا يأخذ مجراه في

الغرب، والتصوف والعرفان في الشرق، وكُلٌّ بحسب بيئته ومشهده الثقافي وإرثه الحضاري. وهذا الأمر لم يمنع من وجود تراث عرفاني ضخم مثله ابن عربي والرومي مما جعلهما متجاوزان وعابران للمشهد الإسلامي، نحو المشهد العالمي، فالخطاب المنصرف إلى الأخلاقيات العامة والزهد في الدنيا والإنصراف عنها وعن عالم السياسة هو المطلوب دوليًا[1] ليحل محل الخطاب المؤسس على مبانٍ عقلية وتكاليف إلهية تتجاوز حالات الوجد والجذب إلى صياغة آيدلوجية مكافحة للغرب.

ولهذا السبب صارت الثقافة الصوفية الإيمانية مشروعًا بديلاً لأدلجة الحياة، ولهذا صرت لا ترى حداثيًا أو علمانيًا أو صاحب أطروحة يدعي أنها تجديدية للدين إلا ويتكئ على إرث ضخم

[1] عبد الوهاب المسيري، الإسلام والغرب، موقع الجزيرة.

من كلمات ابن عربي الملتبسة، وأشعار جلال الدين الرومي الأدبية العالية، وفي نفس الوقت يحارب كل أشكال العقل البرهاني، والشعائر المنصوصة التي لا تحيا عقيدة دونها[١].

[١] يقول العلامة الشيخ جعفر السبحاني: "هذا المقام هو المزلقة الكبرى للإسماعيلية المؤوّلة، إذ كل إمام وداع، يسرح بخياله فيضع لكلّ ظاهر باطناً ولكلّ واجب حقيقة، يسمّي أحدهما بالشريعة الظاهرية والآخر بالباطنية من دون أن يدلّ عليه بدليل من عقل أو نقل فكلّ ما يذكرونه من البواطن للشريعة ذوقيات، أشبه بذوقيات العرفاء في تأويل الأسماء والصفات وغير ذلك، وكأنّ الجميع فروع من شجرة واحدة" السبحاني، بحوث في الملل والنحل، ج٨ ص٢٧٤.

ضعف العقل

إن طبيعة المعارف اللا معيارية أنها تحارب كل ما شأنه أن يضع معيارًا يمكن الاستناد إليه. والعقل الصحيح هو بنفسه يمثل أداةً معصومة بأحكامه القطعية التي لا يمكن تجاوزها إلا في حالة واحدة، وهي تسقيط العقل عن مقامه واعتباره أداةً لا مصباحًا مرشدًا ولا مفتاحًا لما استغلق[1].

[1] وواحدة من أسوأ هذه التسقيطات هي تسقيط حجية ظواهر النصوص، وتسقيط قصدية المتحدث (الكاتب). فما أن تشير إلى قضية ما تتعلق بآراء لشخصية مثيرة للجدل حتى تبرز بوجهك واحدة من الكليشيهات المبتذلة التي صارت تجري على ألسن العوام وكأنها أثر مأثور عن معصوم، وهي استخدام عبارة (هل ناقشته؟ هل جلست معه؟ هل استفهمته؟ هل سمعت منه؟..إلخ) كمناورة للهرب من تصديق الحقيقة الصادمة، لمن تنتقده، وإيجاد المبرر لتأجيل الحكم عليه!

هذه العبارات وأضرابها لا تهدف للسعي إلى التبيّن، أو استجلاء الواقع بقدر ما هي تشكيك بقدرة العقل على اطلاق الأحكام، وبحجية ظواهر الكلام، وبسلامة فهم السياق العام، وتنفي قصدية المتحدث في كلامه. فالمنحرف أو الفاسد أو المشكك يختلف لَحنُ كلامه عن كلام المشتبه أو الجاهل أو المضطرب؛ وهذه أمور لا تحتاج لاستجلائها إلى أكثر من سَبر الحال والاطلاع الكافي على آثار الفرد.

أمّا اشغال الإنسان الدائم في دوامة التشكيك بقدراته العقلية على الحكم وبسلامة فهمه، وبنفي قصدية المتحدث بحيث لا يمكن فهمه واعتبار عباراته مجرد معان خاضعة لمزاج المتلقي لا المنشيء، وحبسه في زنزانة الاتهام←

كنت أقرأ في بعض الكتب الأخلاقية، فلفت انتباهي ما قاله العلامة المجلسي، صاحب البحار، قدس سره: " .. ولا بدّ أيضًا أن لا يضعف العقل .. لأنه المدار لتمييز الأمور، ومتى ما ضعف فسرعان ما ينخدع بأهل الباطل، كما أنّ أحاديث ترك اللحم تُشعِر إلى هذا الأمر، وحسب الظاهر أن الشيطان وسوس لبعض الصوفية ترك أكل اللحم، المخالف لطريقة الشرع، فبعد ما بقوا أربعين يومًا في جحر وضعفت قواهم تستولي على عقولهم الأوهام والتخيلات، فيتصورون أمورًا خيالية كالمريض المبتلى بالهذيان. ويزعمون أنها كمالاً لضعف عقلهم.

المستمر لذاته ووضعه تحت طائلة التساؤل عن كل ما يظهره النص بدلاً من توجيه الاتهام لذاك المشكك أو المنحرف، فهذه لعبة شيطانية ظاهرها طلب اليقين وعدم المسارعة بالظن وباطنها سحب الأهلية من العقل والطعن بطرق بناء المعرفة وزعزعة الاطمئنان في قلب الإنسان حتى تجد النسبية منفذها إليه وحينها يكون هناك "لا حق" فالكل مصيب، والسكوت عن الفتنة أولى، ومجاملة الباطل أسلَم ويصبح إبليس وجنده وقد يكونوا مهتدين لكننا اتهمناهم زورًا وعدوانًا وتسرعنا بالطعن بهم لأننا لم نتشرف بمقابلة إبليس حتى نستفهمه عن وجهة نظره! فهل استوعبت اللعبة الماكرة؟

وكذلك يصدقون كلّ ما قاله مرشدهم وشيخهم لازدياد قوّة الوهم وضعف العقل فيهم لمكثهم في ذلك الجحر مدّة طويلة، وكذلك يصدقونه بعد ما خرجوا، فلو قال لهم إني ذهبت في الليلة الماضية إلى العرش خمس مرات لصدقوه من دون برهان، وهذا كله من ضعف العقل"[1].

كان يمكن لهذا النص أن يكون كغيره، نصًا في ضمن سياق الجدال ما بين المدارس المعرفية في الإسلام، لكنه خرج عن هذا باشارته إلى أهم أصل في قضية معرفية، وهي قوة العقل وضعفه.

لم تكن هذه الاشارة لتلقي اهتمامًا لولا الواقع المرصود على الساحة حاليًا. ما يشكل الدين المعاصر هذه الأيام يمكن وصفه

[1] العلامة محمد باقر المجلسي، عين الحياة، ج١ ص ٣٧٦-٣٧٧.

بالدين الشخصي، حيث تم إعلاء شأن "الفردانية" وهي تتضمن التشديد عمدًا على خصوصية مفترضة ما، وإبرازها بدلاً من من الاعتبارات والموجبات الجماعية[١]، فالجماعة ماتت، وعاش الفرد مصدر القيم كلها. ما يعني أنه حر في اختيار معتقداته، ويؤسس قيمه الخاصة المأخوذة من القيم المتناقضة التي يحتويها العالم والخاضعة جميعها للنقد، والماضي [أي كون هذه القيم تراثًا] لم يعد بمثابة أفق غير متجاوز أو مثل أعلى يرجع إليه، بل على العكس أمسى عالمًا ناقصًا لا يصلح أن يكون مرجعًا ولا مرجعية[٢]، من هنا فإن العقل القطعي لم يعد له وجود لسبب بسيط، وهو أن العقل بقطعياته من حيث كونه ميزانًا مشتركًا بين

[١] دونالد بيري، الإسلام والحداثة: من خلال كتابات المفكّر الإسلامي الحداثي فضل الرحمن، ص ٤٠.

[٢] حسن سرات، عودة الأديان وتحولات الإيمان بالغرب، موقع الجزيرة.

البشر تمت مكافحته حتى لم يعد له وجود، ولا وجود لما هو مقطوع به عقليًا، وما هو موجود هو عقل متباين يختلف باختلاف منظور كل شخص، ولا وجود لمعيار متعال على الثقافات لوصف وتقييم التفاوت في الأحكام[1].

أمام هذا السيل من تعزيز الفردانية، تغيّر حال الدين من كونه دينًا معياريًا إلى كونه "تجربة دينية" وهي تسمية تستبطن الفردانية والذاتية في نفسها وستراها تتكرر كثيرًا مع دعاة التصوف والعرفان والعلمانية في يومنا هذا، فالتجربة الدينية ليست أكثر

[1] مجموعة مؤلفين، العلمانية مذهبًا: دراسات نقدية في الأسس والمرتكزات، ص ١٣٠.

من تحسس وجود الله وتذوق حضوره والمثول في حضرته وهي أعمق من الأديان[1].

يتحصل من ذلك أن التجربة الدينية هي تجربة شخصية، فالدين من المنظور العملي يعد أمرًا فرديًا في جوهره، وتجربة داخلية تختلف من شخص إلى آخر، إلى درجة أن هذه التجربة قوّةً وضعفًا هي ما تميّز تدين كل شخص عن الآخر، وعلى هذا الأساس تُعد **"التجربة الدينية"** فكرة صحيحة ونافعة، مادامت تحقق نتائج مُرضية لحياة الفرد حيث يتماهى "الجانب **الروحاني**" للإنسان مع العالم اللامرئي [اللا محسوس]، مُتجاوزًا قدرات الإنسان الحسية. بهذا المعنى، تُعدُّ عملية التطهير تحريرًا للوعي،

[1] عبد الجبار الرفاعي، الدين والظمأ الانطولوجي، ص ١٢٩–١٣٠. أقول: وكما ترى فهذه كلها أمور وجدانية لا معيارية ولا تجريبية ولا برهانية إنما هي انفعالات نفسانية وعاطفية حيث يتحول التكليف فيها من العبادة السلوكية والتسليم لأمر المولى إلى تحرر من التكاليف والإنزلاق إلى حالة رومانسية من التقلبات النفسية!

وتحقيقًا للنزعة التفاؤلية؛ إذْ تشعر الذات أثناء التجربة الدينية باتحادها مع الله، مما يعكس أرقى درجات الشعور النفسي الذي يستحوذ على الفرد عندما يشعر بوجود كائن أعظم منه[١].

لهذا السبب كان لابد من فسح المجال أمام التعدد الديني وتوسيع الاعتقاد بوجود الحقيقة في كثير من الديانات[٢] تحت عنوان التسامح، والحب، وتوجه المخلوق نحو مصدر الوجود على اختلاف تجلياته، حيث يستمد كل شخصه فهمه من ذاته ووجوده الخاص[٣] .

أو كما عبّر ابن عربي:

---

[١] هاجر موحنيطو، فردانية التجربة الدينية: وليام جيمس أنموذجًا، موقع مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث.

[٢] حسن سرات، مصدر سابق.

[٣] عبد الجبار الرفاعي، الدين والظمأ الانطولوجي، ص ١٣١.

لقدْ صارَ قلبي قابلاً كلَّ صــورةٍ فمَــرْعًى لغِزْلاَنٍ وديرٌ لرُهْبانِ
وبَيْــــتٌ لأوثانٍ وكعبةُ طائـفٍ وألـواحُ توراةٍ ومصحفُ قرآنِ
أدينُ بــدينِ الحبِّ أنَّى توجَّـهتْ رَكــــائِبُهُ فالحُبُّ ديني وإيماني

واختُزل الدين بالحب، والحب والحرية وجهان لعملة واحدة[١]، وهما أمثولتا الترويج للقيم الغربية ذات الحضارة المتطورة حاليًا[٢]. وعليه فإن الإنسان حر في أخذ ما يحبه، وبما أن "الحاجة الإنسانية إلى التدين تدفع لعروض دينية، والتعددية الدينية تتبع تعدد أشكال الاحتياج"[٣]؛ فله أن يأخذ ممّا يشاء، ما يشاء، بما يشبع الاحتياج الذي يراه. فظواهر التدين الخارجية قد تشي بعكس هذه التجربة[٤]، لذا عليه البحث عمّا يعمّق تجربته! وليس

---

[١] حلمي سالم، الحداثة أخت التسامح: الشعر العربي الحديث من منظور حقوق الإنسان، ص ٧٠.

[٢] وصفت ظاهرة الحب على انها ظاهرة غربية بحتة، وأن المفهوم الرومانسي للحب قد ولد في أوروبا في القرن الثاني عشر، وأن الحب كقيمة يسير يدًا بيد مع الفردية. انظر: جاك غودي، سرقة التاريخ، ص ٤٠١.

[٣] مجلة التسامح، الصادرة عن وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية في عُمان، العدد ١٣، ص٣٠٨.

[٤] عبد الجبار الرفاعي، مصدر سابق، ص ١٣٠-١٣١.

الأمر بالجديد فهو مجرد إعادة صياغة لأطروحات قديمة، تعجب منها في زمنه السيد نعمة الله الجزائري (١١١٢ هـ)، حيث تساءل: كيف يصدقون بدعوى الكشف مع اختلاف آرائهم ومذاهبهم فمنهم الملحد ومنهم السنّي ومنهم الشيعي إلى غير ذلك. فإذا كانت هذه المكاشفات كلّها صحيحة صحّت مذاهب الفرق فلا يكون الناجي فرقة واحدة بل جميع هذه الفرق. ما هذا إلا سفه وجنون[1].

إنّ إلغاء العقل عن مكانته، وتصعيد الامور الوجدانية بجعلها الميزان، يجعل من الحقيقة أمرًا لا وجود له، إنما هي ما تكشفه تجربة كل شخص، وقد عبّر عبد الكريم سروش صراحة عن ذلك، بقوله:"لا يوجد حق صريح وباطل صريح، ومثل هذا

[1] السيد نعمة الله الجزائري، الانوار النعمانية، ج٢ ص ٢١٣.

الدين لا يمكن ولا يصح تحميله أكثر من اللازم، ولا يصح انتزاع وعود كثيرة من نصوصه، ولا يمكن خلق سلوكيات كثيرة بالاستناد إليه، ولا طريق أمامنا سوى قبول الكثرة"[1].

وقد حاول بعضهم الإفلات من هذا اللازم بقبول الكثرة، أي تعدد الحقائق ونفي الحاجة إلى دين معيّن بذاته، بضرورة فحص صحة التجربة الصوفية / العرفانية. ولكن ما هي الضمانة بصحة هذه التجربة؟ يقول المتدين (المعارض نظريًا للتأويل) بأنها بمطابقة الشريعة. فإن كانت الشريعة هي الصحيحة فإن الكشف صار زائدًا لا معنى له، وإن كان الكشف هو المصحح للشريعة فإن الشريعة قد بطلت وعليه بطل استناد الكشف عليها، ناهيك عن الدور المضمر في هذه الحجة مما يسقطها عن الاعتبار.

---

[1] إبراهيم غرايبة، الصراطات المستقيمة: الصواب في التعدديّة الدينيّة، موقع مؤسسة مؤمنون بلا حدود.

أما غير المتدين بتدين أهل الظاهر فيكتفي بتصحيح كل ذلك بذريعة أن هذه المعرفة لا يمكن بلوغها بادوات ووسائل حسيّة، ولا بظواهر التدين الخارجية[1] (أي الشريعة).

[1] عبد الجبار الرفاعي، مصدر سابق، ص ١٣٠.

الهجوم على العرفان

إن تصور دعوى مهاجمة العرفان من باب أنه مأخوذ عن اليونانيين، ولم يرد ذكره عن أهل البيت عليهم السلام، ليس صحيحًا بالمطلق، من جهة أن ذلك هو السبب، بل من جهة أن العرفان علم غير منضبط بضوابط العلوم، " فهو ليس سلوكًا علميًا نظريًا تفكيكيًا بل هو سلوك ذوقي وجداني"[1]ومن ثم كان الإنحراف تحت مسمّاه لا يمكن إغماض العين عنه، لأنّ"أصحاب النظر والتعليم عندهم علم يمكن أن يتميّز به النظر الصحيح عن الفاسد، ويمكن أيضا أن يُعرف به وجه الحقّ عن الباطل، وليس عند السالكين من أصحاب المجاهدة، آلة

[1] أصول المعرفة والمنهج العقلي، الشيخ أيمن المصري، ص ١٢٧.

شأنها ما ذكرناه"[١] ولا يعني ذلك عدم الإهتمام بالسير والسلوك وتهذيب النفس والاشتغال بتربية الذات وتوطينها على الأحسن، كيف ذلك وسيرة أئمتنا عليهم السلام وأحاديثهم ورواياتهم والأدعية الشريفة الواردة عنهم لا تخلو من ذلك، إنما النظر هنا عن هذه الحالة من الإنعتاق عن الضوابط العقلية والدينية في تحصيل المعارف وقضاء الوقت في كسبها بحجة أن تلك الضوابط لأهل الظاهر ولا لأهل الباطن حاجة لها[٢]، فينشغل صاحبها بحفظ أشعار جلال الدين الرومي ولا يعرف حين يعوزه الماء حكم التيمم! ناهيك عمّا رافق هذا التصوف من

---

[١] التمهيد في شرحه قواعد التوحيد، محمد بن علي ابن تركة (صائن الدين)، تعليق الشيخ محمد رضا نيكونام، ص ٢٦٩.

[٢] "إن حصول الاعتقادات لن يكون ابتداءً متولّدًا عن تأدية الدليل إليها بل سيكون لكل قائل ومدّعي أن يقوم بتأييد أفكاره بادعاء حصول الفيض لها عليه بالمشاهدة ثم يعمد إلى تأليف الأدلة وصنع المصطلحات وإحالة التصديق التام على أهل العرفان الراسخين في العلم" الشيخ محمد ناصر، الفلسفة: تأسيسها، تلويثها، تحريفها، ص٥٠.

حالات دفعت حتى رؤوس العرفان إلى مهاجمته نتيجة ما جرّه من ويلات اعتقادية، وطامات فكرية[١]. فانظر لمن يترك سبيل نجاته باتصاله بربّ العالمين لأجل عبارات عاطفية لا تعطيه إلا سكينة نفسية مؤقتة ومتوهمة بل ومتناقضة في كثير من الأحيان، "فإنّ ما يجده بعض السالكين، قد يكون مناقضًا لما يجده البعض الآخر منهم، ولهذا قد ينكر البعض منهم البعض الآخر في إدراكاتهم الذوقيّة، ومعارفهم الوجدانية الكشفيّة"[٢].

[١] راجع ما كتبه صدر المتألهين (ملا صدرا) في مقدمة كتابه (كسر أصنام الجاهلية في الرد على الصوفية).

[٢] التمهيد في شرحه قواعد التوحيد، محمد بن علي التركة (صائن الدين)، تعليق الشيخ محمد رضا نيكونام،ص ٢٦٩.

الفلسفة والعرفان

وقد كانت علاقة الفلسفة بالعرفان، علاقة تعريف وتوضيح، بحيث صارت العلاقة بينهما اليوم لا يمكن التفريق بينهما خصوصًا مع انتشار الحكمة المتعالية للملا صدرا (صدر الدين الشيرازي) رحمه الله التي شيّدت بنيانها على العرفان والفلسفة، والتي أخذ موضعها على الساحة الشيعية بعد تموضعها في حوزة قم المقدسة، حيث أن تشير إلى أن العارف في مقام الإثبات يحاول أيضًا أن يستدل ببراهين عقليّة مقدماتها يقينية، والسبب هو أن كلاهما أي الفيلسوف والعارف يهتم بمسألة الوجود وهي محور مبادئهما واستدلالاتهما ولكن مع فارق في نظرة كل منهما

للوجود[١]، ولهذا أحد العرفاء، كما ينقل بعضهم، مثلاً يشير إلى ضرورة كون العارف مجتهدًا في الفقه حتى إذا كوشف بامر خلاف ظاهر الشريعة يرفضه رفضًا قاطعًا، ويحتاج أن يكون مجتهدًا في الفلسفة حتى إذا كوشف بأمور تكون مناقضة للقوانين العقليّة الفلسفيّة البرهانية أيضًا يرفضها، والعرفان يحتاج إلى الفلسفة كما تحتاج الفلسفة إلى المنطق.

والحقيقة أنّ هذا الأمر يشير بوضوح إلى أنّ الكشف، رغم كل ما قيل فيه من كونه علم حضوري يشاهد به صاحبه الحقيقة، ليس كذلك، فما الحاجة إلى مقوّم ومصحح إذا كان الكشف عاجز عن ذلك؟ وإذا كانت **قَدَمُ الاستدلال من خشب**[٢]، فما هي قدم

---

[١] السير إلى الله في طريق العرفان، الشيخ علي حسن البستاني، ص٣٠.

[٢] راجع "مذهب الصوفية" في كتيّب: ميزان المعرفة الدينية، للسيد جعفر سيدان، ترجمة الشيخ ماجد الكاظمي. ويقصد العارفون من هذا المثل الذي هو ترجمة لشطر بيت فارسي، أن أهل الاستدلال والنظر عاجزون عن تذوق

الكشف العاجز عن توحيد أهله على حقيقة واحدة؟ وانظر مثلاً لذلك ما نصّ عليه ابن عربي في الفتوحات من اختلاف أهل الكشف عن سرمدية العذاب الأخروي، وكذلك ما نص عليه ملا صدرا رحمه الله في الأسفار من اختلاف أهل الكشف في خلود أهل النار في النار. وما هذا الاختلاف إلا لافتقار الميزان الضابط لحالات الكشف والشهود، فالميزان ينبغي أن يكون ميزانًا موضوعيًا صناعيًا علميًا معتبرًا وإلا فلا قيمة له؛ فإن كان الميزان هو البرهان العقلي فقد خرجت مسائل الكشف من طورها إلى طور الفلسفة المشيّدة بالبرهان العقلي، وإن كان الميزان هو النصوص الدينية فصارت في ساحة علمي الرواية والدراية،

الحقيقة كما هي، لأن العقل محدود بعكس الكشف والشهود الذي العلم فيه ليس من نوع العلم الحصولي وإنما هو من نوع العلم الحضوري.

وإن كان هو الشيخ الكامل فإن لم يكن معصومًا فلا حجة لكلامه سوى ما يفيده من الظن[١].

وقد أشار بعض العلماء إلى السبب في كون أن هذه الكشوفات متناقضة، وهو أن النقص البشري ليس فقط في الجانب المادي حتى يُفترض أن التخلص عن هذه المادة والتجرد الحقيقي عنها – لو أمكن – لا يُبقي فرقًا بينه وبين الله ويكون هو هو، بل الجانب المجرد من الإنسان – أيضًا – مشتمل على الحدّ الماهوي ونقص الإمكان والحدوث والتعلق وسائر النقائص التي هي

[١] راجع "المدرسة الصوفية العرفانية" في كتاب: أصول المعرفة والمنهج العقلي، الشيخ أيمن المصري. وقد عزا الشيخ الدكتور التهرب من هذا الميزان إلى "الهروب من الرقابة البرهانية، والاكتفاء بالأدلة الجدلية والخطابية لتمرير مبانيهم العرفانية الخيالية"، ص ١٤٩.

ذاتية له، فلا معنى لفرض التجرد عنها[1]، لأن النقص ملازم للموجودات المخلوقة.

ما حدث في هذا العصر، هو أن التصوف والعرفان بما يمتلكانه من مخزون شعري عاطفي، له آدابه الخاصة وشعاراته التي تتسق مع شعارات الليبرالية الجديدة وما يحتاجه اقتصاد السوق من أخلاقيات عجز الفكر المادي عن تأسيسها، قد أصبحا دينًا معترفًا به ويتم الترويج له، وسُلمت الامور لغير أهلها، فصار كل شخص يرى في نفسه الأهلية للتصدي وإطلاق الاحكام بسبب إعلان شأن الفردية، ولم يغب ذلك عن أذهان علمائنا، فهذا السيد الخميني قدس سره يشير بوضوح إلى ذلك في قوله: لقد كانت الفلسفة في كل تاريخها مختلَسَة، ويجب أن يكون

[1] تزكية النفس، السيد كاظم الحائري، ص ١٢١ – ١٢٢.

تدريسها أيضًا خلسة! ولا سيما في الحوزات العلمية، (ينبغي أن) لا تتكثّر الدروس ولا يتوسع حضارها، لا تسمحوا لأي كان بالحضور. هل كل هؤلاء أهلٌ (للدراسة)؟ إن من لديهم أهلية دراسة الفلسفة دون أن يسقطوا في الإنحراف هم قلة.[١]

ذلك لأن الطبيعة الإنسانية لا يمكن الانعتاق منها تمامًا، وكما روي عن الإمام الكاظم عليه السلام: لا تمنحوا الجهال الحكمة فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم[٢]. فليس كلهم مهيؤون لدقائق العلوم. وهنا يجب التفريق بين علم يستغله غير المؤهل له في الانحراف، كما استغل الإنسان علم الفيزياء في قتل البشر

---

[١] سلسله موى دوست / خاطرات دوران تدريس إمام خميني، ص ٩٧. والقصة أطول اقتطع منها محل الشاهد فراجع: مواصفات المرجع الديني / عباس بن نخي ص ٥٢٦ – ٥٢٨.

[٢] بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ٣٠٣.

وبين علم حقائقه ضالة وإن أذيعت أضلت البشر، فيجب ان تظل طي الكتمان ومن سرٍّ إلى سر.

وقد بات الدرس الفلسفي ومثله العرفاني الذي كان يومًا ما مغلقًا، مفتوحًا لكل من هبّ ودب، وصارت مصطلحات العلوم المعقدة كالعرفان والفلسفة سطورًا في أغاني الحب ولقلقات الألسنة، سيما على من آثر متابعة الشرع إلى الرياضات الشاقة، ففر من الأشق إلى الأسهل، فإن الشرع قتل مستمر للنفس، دائمي ما دامت موجودة، والرياضة الشاقة قتل دفعي وهو أسهل إيثارًا[1].

[1] العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، الإنسان والعقيدة، ص ٢٤١، بتصرّف.

التصوف السلوكي والتصوف العقائدي

المطلع على سيرة العلماء لا تخطيء عينه وجود فطاحل من العلماء تميزوا عن غيرهم بذكر سلوكياتهم، وروحانيتهم العالية حتى عُدوا من رؤوس العرفان، لكن حين الاطلاع على تراثهم الذي وصلنا، وما نقل عنهم يظهر جليًا للناظر أن نزعة التصوف أو العرفان فيهم كانت نزعة سلوكية مناسبة لنفوسهم العالية ولم تكن اعتقادًا بما هو اعتقاد مميز للمدرسة الصوفية. هذا الفارق ما بين التصوف السلوكي والتصوف العقائدي مهم جدًا للتفريق بين ما يتم ترويجه عن التصوف وبين ما هو في الواقع.

التصوف والعرفان تجربة سلوكية تتعلق بروحية الفرد، ومدى قدرته على التسامي عن هذا الوجود المادي والارتباط بالله عز

وجل عن طريق ما ارتضاه سبحانه من صراط مستقيم، من هذا اللحاظ يمكن فهم العرفان أو التصوف؛ لكن هذه التجربة لا يجوز تعديها إلى الدين واعتبار الدين تجربة تمثل الأرضية للتصوف والعرفان، فكأن الدين يصبح هنا منصة للانطلاق نحو الله لا مسار السير! ومن البديهي أنه في هذه الحالة تصبح الأديان مجرد مخزون يمد السالك بما يحتاجه في رحلة الانعتاق من قيود الظاهر[1]، وحينها تصبح كل المخازن [الأديان] على قدم المساواة لكونها كلها فيها حقيقة طالما أنها تقصد الخالق بتجليات مختلفة وإنما امتياز دين على دين آخر هو بقدرته على تسريع عملية

[1] ويقول بعضهم بأن الطريقة مفصولة عن الشريعة لذلك فإنّ "الفقه خارج عن نطاق عمل الصوفية، ولو اعتبرنا حقيقة التشيع قبول الولاية ـ لا قبول المذاهب الفقهية بشكل خاص ـ لوجدنا أنّ الشيعي من يلتزم بولاية علي بن أبي طالب، وهذا ملاك التشيع. وقد يعمل المرء في مجال الفقه بالتقية، كأن يعمل على رأي الشافعي أو يجتهد لنفسه" راجع شهرام بازوكي، الدين والتصوف والعرفان: العلاقة والاترباط، مجلة نصوص معاصرة، ديسمبر ٢٠١٤م

الانعتاق لا أكثر! وهو ما أشار إليه شبستري في قوله: " إن الأنبياء قالوا للناس: اسلكوا الطريق إلى الله، ولكن الأدوات التي يستخدمها الإنسان في سلوك هذا الطريق، وهو طريق التفكير والتجارب الدينية، تعود إلى الإنسان نفسه. فبإمكان الإنسان أن يختار بحرية نمط التفكير والتجربة في هذا الطريق، فربّما كانت بعض أشكال التفكير والتجارب صحيحة ومصيبة وبعضها الآخر غير صحيحة، فهذا حقّ يملكه الإنسان"[١].

لهذا ترى المتصوف عقائديًا لا يرى بأسًا في الاستشهاد بابن عربي، أو الحلاج، أو الجيلاني، وصولاً إلى الرومي وجامي وبوذا وغيرهم في معارفه الدينية[٢]، فالمذاهب لأهل الظاهر وإنما أهل

---

[١] محمد مجتهد شبستري، قراءة بشرية للدين، ص ٣٢١.

[٢] وعليه فجميع العبادات والعقائد لدى العرفاء تعد صحيحة، سواء كانت وثنية أو دنيوية أو دينية؛ راجع: يحيى محمد، الفلسفة والعرفان والإشكاليات الدينية، ص ٤١١.

الباطن لهم الحق والولاية، ومن وصل للحق فالطريق لم يعد يهمه، وكما قال النفري: الشريعة لم تُجعل إلا للمحجوبين[١]. وبعضهم لا يقبل بهذا، إلا أنّه يصحح مذهبه لأنه الطريق الأسرع والأقرب للحق سبحانه، فالأصل عنده ليس التكاليف الإلهية إنما السفر الروحي له، وليست صوابيّة مذهبه ناشئة من البراهين العقلية والنقلية إنما من قدرته على تزويده بالوقود اللازم للوصول في رحلة السفر من الخلق إلى الحق! وعلى هذا الأساس ترى أن دعاة التسامح الديني[٢] لا يمكن لهم أن يشيدوا دعواهم إلا بالاستعانة بهذا الفكر، لأنه الوحيد الذي يصحح

---

[١] عبد القادر محمود، الفلسفة الصوفية في الإسلام، ص ٣٩١.

[٢] "عندما نتحدث عن التسامح فإننا نتحدث عن قبول المنشقين عقائديًا، والخارجين على الدين والملحدين. كما أننا عندما نتحدث عن التسامح فإننا نتحدث عن اجازة الزنا (البغاء) والقمار وتجارة المخدرات التي تزال جميعها [واليوم قليل منها فقط بات كذلك] تعد شرورًا، فلكي تتسامح فلا بد أن تُدِينَ ثم تصبر على ما تُدِينه" راجع: محمد بن أحمد مفتي، نقد التسامح الليبرالي، ص ٩-١٤. فالتسامح يعني الاعتراف المبطن قبل أن يتحول إلى قبول واحترام ظاهري.

"الصراطات" ويعتبرها "مستقيمة" طالما أنها ساعية للارتباط بالحق، فالغاية أجلُّ من أن يقف من أجلها السالك عند الوسيلة، "فالتجارب الدينية بمختلف مستوياتها وأنماطها هي منهل ارتواء الظمأ المقدس، ومع أنها تختلف باختلاف البشر، وتمثلهم للإلهي في البشري، لكن كل شخص يرتوي منها حسب استيعاب ظرف وعائه"[١] هذا إن كان متدينًا أما إن كان مثقفًا فإن قيمة الديمقراطية هي المعيار في قبول الأديان، لأن "نفي التنوع أو نفي التعددية الواقعية في مجتمع معين هو بمعنى نفي القيم الديمقراطية"[٢].

[١] عبد الجبار الرفاعي، الدين والظمأ الانطولوجي، ص ١٣٠.

[٢] محمد مجتهد شبستري، قراءة بشرية للدين، ص ٢١٩.

فترويج العرفان والتصوف ينحى نحو مسارين، يقوم به فريقان الأول هو محاولة ادماج العرفان والتصوف كمبدأ عام في الجسد الديني وهذا لا يكون إلا بتوسيع القراءة الدينية لتشمل المتصوفة والعرفانيين حتى يثبتوا انتماؤهم للواقع الديني[1]، وأنهم ليسوا شواذًا عنه، فكلها تجارب وكل تجربة لها قراءتها! والثاني هو مبدأ سياسي هدفه الترويج للقيم الغربية الديمقراطية، وهو ما يحتاج إلى توفير بيئة ومناخ يعترف بتعدد القراءات الدينية ومنحها حق الحياة والنمو من خلال اعتبارها تجارب بشرية، حيث لاحق

[1] مثلاً انظر ما نقله العلامة السيد محمد حسين الطهراني في الهامش ١٢ من المجلد الثالث لكتاب (ولاية الفقيه في حكومة الإسلام) الدرس ٢٨ نقلاً عن العلامة الحلي: الصوفيّ بمعني الزاهد عن الدنيا والراغب في الآخرة والملتزم بتطهير الباطن، وكان جميع علماء الإسلام الاعلام صوفيّين. ومن جملة من ذكرهم: الخواجة نصيرالدين الطوسيّ، ورّام الكنديّ، السيّد رضي الدين عليّ بن طاووس، السيّد محمود الآمليّ صاحب كتاب (نفائس الفنون)، والسيّد حيدر الآمليّ صاحب تفسير «بحر الابحار»، وابن فهد الحلّيّ، والشيخ ابن أبي جمهور الاحسائيّ، والشيخ الشهيد مكّي، والشيخ بهاءالدين العامليّ، والقاضي نور الله الشوشتريّ الذي هو من السلسلة العلية النوربخشيّة. ويثبت في كتاب ‹مجالس المؤمنين› بالدلائل القويّة أنَّ جميع المشائخ المشهورين كانوا من الشيعة.

صريح ولا باطل صريح، بحسب تعبير سروش، ومن ثم يسهل ابتلاع المجتمع لكافة القيم الغربية المستتبعة لهذا الأمر.

لكن هذا الأمر لا تجده عند علمائنا قدس الله أسرارهم، فلا ترى أحدهم مهما اشتهر عنه العرفان والارتباط به، وصل الأمر عنده إلى تصحيح الطرق إلى الله، فإن الطرق إلى الله وإن كانت بعدد أنفاس الخلائق إلا أنها ليست كلها مرضية عنده سبحانه. لا تجد السيد روح الله الخميني قدس سره يدخل العرفان في فتاويه، ولا يبني فقهه على المكاشفات، ولا يختلف فيما يستنبطه بآلياته العلمية عن سائر فقهاء الطائفة رحم الله الماضين منهم وحفظ الباقين. ولا تجد الشيخ بهجت قدس سره، قد خالف الطائفة في تصحيح اعتقادات المخالفين أو اعتبر أقوال العرفاء والمتصوفة

اشارات ومسالك للمريدين ولم تكن نصيحته لمن يريد السير إلا "العزم الثابت الدائم على ترك المعصية في الاعتقاد والعمل"[١]، دون الحاجة لاستاذ، "استاذك علمك؛ اعمل بما تعلم تُكفَ ما لا تعلم"[٢]. وقد تنبه العلامة المجلسي قدس سره إلى ذلك، فقال: "ويوجد كثيرًا من العباد والزهاد في أهل الحق ولا يُحتسبون على الصوفية، وذلك لاستقامتهم على الطريق الحق وعلمهم بطرق القرب إلى الله، وبالعبادات والمناجات والطاعات كسلطان العلماء والمحققين، وبرهان الأصفياء والكاملين الشيخ صفيّ الدين، وسيد الأفاضل ابن طاووس، وزبدة المتعبدين ابن فهد

---

[١] وفي الحقيقة فإن التركيز الدائم على "المحبة" عند العرفاء وكما تراه في أشعار ابن عربي وغيره هدفه ربط الدين بالحب، ومن ثم وضعه في مقام الضد لمشقة التكليف حتى يسقطه، وعليه لا تكون هناك معصية إنما كلها أفعال حب ومحبة بحيث تتساوى عبادة المعصوم وفرعون في الحقيقة وتختلف بالصورة، "فلا يختلف العصيان عن الطاعة إلا بمقدار اختلاف الحية عن العصا التي انقلبت إليها بطريقة التغير في الصورة" (راجع: يحيى محمد، الفلسفة والعرفان والإشكاليات الدينية، ص ٤١٣-٤١٤).

[٢] الشيخ محمد تقي بهجت، الناصح، ص ٣٢٦ و ص٣٣٠.

الحلي. والشهيد السعيد الشيخ زين الدين رضوان الله عليهم أجمعين وغيرهم من الزهاد السائري في طريق الرياضة والعبادة والطاعة طبقًا لقانون الشرع المقدس النبوي، وتوجهوا إلى العبادة والرياضة وإلى هداية الخلق وارشادهم بعد الكمال في علوم الدين، ولم تثنقل عنهم بدعة، فلذا لم يذكر الملا جامي في النفحات أحدًا منهم، ولم يجعلهم من الصوفية مع كونهم أشهر من الشمس، وأضيء العالم بنور آثارهم وتصانيفهم وسيبقى معمورًا إلى قيام الساعة ببركاتهم.

وسعوا في ترويج مذهب أهل البيت عليهم السلام سعيًا بليغًا، وبذلوا أنفسهم في هذا الطريق، وسعى في قبالهم الصوفية على

هدم الدين سعيًا بليغًا .."[١]. وهي إلتفاته ذكية من العلامة المجلسي، فإنك لا ترى من العرفاء الشيعة من يُستشهد به ويُعد من رموزهم، كما ترى في بعض أصحابنا الاستماتة في تشييع ابن عربي[٢]، وحافظ، وسعدي، والرومي وكل من كتب في العرفان والتصوف، والإندفاع الشديد في تأويل كل عبارة لهم،

---

[١] العلامة المجلسي، عين الحياة، ج١ ص ٣٧٨-٣٧٩.

[٢] في الواقع فإنه من الصعوبة بمكان اثبات تشيع ابن عربي، والأدلة المذكورة في القول بتشيعه لا ترقى إلى احداث القطع والجزم. وعمدة الأدلة هي أن حقيقة التصوف هي الولاية فلا يكون المتصوف متصوفًا إلا بالولاية (راجع: بازوكي، التصوف والعرفان) وهذا بطبيعة الحال يولد تساؤلا أنه كيف عرفت تصوفه؟ لكونه ثقة. فكيف وثقته؟ يقول لك لأنه صاحب كشف وشهود! فكيف عرفت بتشيعه؟ يقولك بتصوفه، ولتعاد نفس العبائر! وهكذا تدور بحلقة مفرغة ودور لا ينتهي! والشيخ بهجت قدس سره (راجع: الناصح) لا يرى تشيعه بل يحمل ذلك على قول مبني للمجهول في خواتيم حياته. والغريب أن القوم حتى على افتراض صحة تشيعه في خواتيم حياته فإنهم يصححون كل تراثه ويبررون الاخذ به بذلك! نعم، ابن عربي شخصية ملتبسة والسبب هو اغراقه في الرمزية والاشارة، إلا أن كثيرًا من المقامات التي يذكر أوصافها وتشترك مع الرؤية الشيعية للإمامة فإنه يختلف في مصاديقها مع الشيعة، ومجرد الاشتراك في الوصف لا يعني وحدة العقيدة سيما مع تصحيح ابن عربي لولاية الحاكم الظاهر (راجع: فراس السواح، دين الانسان، ص٣٣-٣٤)، واعتقاده بالإمام المهدي من ولد العسكري عليه السلام يشترك به صوفية آخرون معه وليس به مزية له (راجع: الشعراني في اليواقيت والجواهر، المبحث الخامس والستون) ناهيك أن بعض شطحاته وصلت إلى درجة حتى أن التبرير المعتاد بالقول في الدس بكتبه لم يعد يفيد واضطر الشراح إلى تأويل كلامه بخلاف معناه وظاهره وليّ عنق النص لأجل ذلك (انظر مثلاً كيف ردّ علاء الدولة السمناني القول بعينية الوجود لابن عربي وذكره الجامي في مصباح الانس)

وتعذيرهم في كل ما استُشكل به عليهم، ولو بليّ عنق ظواهر النصوص، وكأن الأصل الباطن لا الظاهر!

على كل، فإن التجربة العرفانية أو الصوفية تجربة خاصة، وليست عامة، ولا يمكن سحبها للواقع العام ونمذجتها، وكون المعرفة سريّة عندهم[1] يتصادم مع هذا الصراع الذي يقوده العرفانيون والمتصوفة نحو الدفع بالقبول العلني لآرائهم وأفكارهم ومناهجهم المعرفية، ولا يمكن تفسير هذه الحماسة والإندفاع إلا بوجود احساس قاهر بالنبذ عند المحيط العام بحيث يراد ازالته،

[1] يقول العلامة الطهراني، في نفس المصدر السابق، في الهامش رقم (٩): "فالحلاّج قد التقي بأكثر من أربعمائة شيخ، لكنّه لم يخضع للتربية والتعليم، وهذا الامر هو الذي جعله يظهر ويبرز مطالب يحرم إظهارها ممّا أدّي إلى إضلال الخلق وهدر دمه." أقول: والعجب كل العجب ممن يقر بمعرفة الحلاج ويقر مطالبه لكنه يستشكل عليه إذاعتها لأنها سرية واظهارها يسبب إضلال الخلق! فكيف لما جاز أن يسبب إضلال الخلق أن يكون معرفة عالية لا يحتملها إلا أهل السر! إنّ هناك فارقًا بين نخبوية علم ما بحيث أنه يحتاج إلى ذهنية مناسبة له واعطائها لكل من هب ودب قد يسبب حالات انحراف، وبين سرية علم ما بحيث أن مجرد اذاعته كافية لإضلال الخلق.

عند المتدينيين منهم، وبالدفع الغربي عند "المتصوفة والمتعرفنين" إن صح التعبير، ممن يستغل المباني العرفانية والصوفية وشطحاتها في التبرير للقيم الحداثوية، والتي تتمثل في الأنظمة الغربيّة، بقوانينها وشعاراتها وأخلاقها، أي "غربنة المجتمع" بحكم أن الغرب هو المرجعية النهائية والمعيار الذي يحكم به على كل الظواهر والحضارات[1].

[1] عبد الوهاب المسيري، الإسلام والغرب، موقع الجزيرة.

زيف المعرفة الأدبية

الأدب لا يعطيك علمًا بل يزودك بالمعرفة. والمعرفة أمور عامة لا تجعل من صاحبها مختصًا أو قادرًا على أن يلتزم بمنهجية فكرية متينة. قد يعطيك الأدب بالإضافة للمعرفة، بلاغة ويزودك بصور خيالية واسعة، وينمي الحالات التأملية، لكن لن يستطيع أن ينمي عندك القدرة على التجرد في المفاهيم والتفكير بالكليات المجردة. ينقل الدكتور غلام الديناني بأنه حين أخبر العلامة الطباطبائي عن كونه يكتب الشعر، قوله: "بما أنك دخلت ميدان الفلسفة فلا ينبغي أن ينشأ ذهنك على الخيال"[1]. ومثل هذا الأمر نُقل عن الشيخ الرئيس ابن سينا، عن بُعده عن الشعر والخيال حين دخل في مجال العقليات في شبابه.

---

[1] حسين غلام الديناني، مع الفيلسوف، ص ٥٥.

والسبب في ذلك هو أن اللغة الأدبية لغة شعرية خيالية، تعتمد على مخاطبة النفوس في جانبها العاطفي وتقودها من زمام الانفعالات النفسانية مستعينة بالصور البلاغية والمحسنات البديعية والتشبيهات والكنايات، فهي لغة تسبح في فضاء غير منضبط، بينما لغة العلم هي لغة الحقيقة، فهي تستعين بالعبارات الصلبة والمحددة لتصف الواقع بما هو واقع، وليس بما هو متخيّل، وليست لغة الحقيقة بسيطة أو يسيرة لكونها عقلية مجردة لا خيالية. وبما أنّ الحقيقة أشرف من الخيال، لذلك امتازت اللغة العلمية برصانتها، وامتازت اللغة الأدبية ببلاغتها.

ولعلّ هذا هو السبب في استعانة مروجي هذا النمط من التصوف والعرفان بهذه اللغة في ترويج مفاهيم التسامح

والتحرر والانعتاق من الالتزامات الأخلاقية الحقيقية، فالخيال الذي تتسلح به الروايات والقصص والأشعار تجعل مما تقدمه شيئًا غير منضبط، وبابه مفتوح على التأويل، وخاضع للانفعالات النفسانية التي تختلف شدة وضعفًا تبعًا لاستجابة كل شخص لها، فلا يمكن بعدها إدراك حقيقة ولا الوصول إلى حقيقة.

ولعلّ محاربة مروجي هذه الأمور لظواهر النصوص وحجيتها، ووصفهم بالمتحجرين وأهل الظاهر، ناشئ من كونهم يفرون من الالتزام بادعاء الباطن لكل ظاهر، وأن التأويل متاح لكل سالك، بشرطه، فعن السيد حيدر الآملي: "..والله لو صارت أطباق السماوات أوراقاً، وأشجار الأرضين أقلاماً، والبحور

السبعة مع المحيط مداداً، والجن والإنس والملك كتّاباً، لا يمكنهم شرح عشر من عشير ما شاهدتُ من المعارف الإلهية والحقائق الربانية.."[١] والمشكلة هي أن التأويل نفسه غير منضبط بقواعد إلا ما يتم ادعاؤه بتطهير النفس ومعرفتها لتوسيع قابليتها لإدراك النور والاتحاد معه، وهي تجربة لا يمكن تعييرها، ولا مراقبتها، ولا الحكم عليها من خارجها! لأن المعارف فيها يتم إدراكها بالتذوق لا بالوصف، وهي معارف وحكمة لدنيّة لا اكتسابية، ومع هذا فالسالك يأخذ من استاذه، فهو مُشرق بإشراق شيخه لا اشراقه هو ثم يستميت في الدفاع عن آرائه!

[١] يحيى محمد، موقف العرفاء من النص الديني، موقع فهم الدين؛ نقلاً عن حيدر الآملي، جامع الأسرار، ص ٦.

واللغة عند المتصوف هي حجاب أكبر يتساوى وحجاب النفس وحجاب البدن وحجاب العلم، وغيره، كما عن الجيلاني "ومن رآني استغنى عن السؤال في كل حال، ومن لم يرني لم ينفعه السؤال لأنه محجوب بالمقال"[١] . وبذلك فالعرفاء والمتصوفة من حيث "الممارسة الفعلية قد شددوا على استنباط ما يريدونه منه من الأبعاد الباطنية التي لا يحدها حد، وقد وظفوا لتبرير هذا العمل العديد من الروايات والأحاديث التي تؤكد تلك الأبعاد"[٢]، ثم صبّوا تلك المعارف بلغة خاصة، وسبك خاص، لأن معارفهم تجنح إلى درجات من الخصوصيات السلوكية

[١] يوسف زيدان، دوامات التدين، ص ٢٧٩.

[٢] يحيى محمد، موقف العرفاء من النص الديني، موقع فهم الدين.

والمعرفية التي يضطر معها الصوفية إلى استعمال الإشارة والرمز، ولذا كان خطابهم خطابًا إشاريًّا[١].

وعلى الرغم من وجود نصوص عند نفس هؤلاء وغيرهم مؤكدة على ضرورة عدم تخطي ما ورد بالشرع المقدس، إلا أنها كثيرًا ما توقفت عند الجانب النظري، ولم تتجاوزها إلى التطبيق العملي، ولعل السبب هو أن الظاهر يكفي لحدوث الفهم، لكن لابد من التأويل للوصول إلى المعنى، الذي هو الغاية[٢]. ورغم أن العرفاء انقسموا هنا إلى قسم يرفض التأويل وآخر يؤكده، إلا ابن عربي – مثلاً – رغم أنه كان شديد الإنكار على المتأولين للنصوص الدينية، إلا أنه يتقبل الممارسة التأويلية خصوصًا إذا كان ذلك

[١] محمد المصطفى عزام، الخطاب الصوفي بين التأوّل والتأويل، ص ٦٩.

[٢] سعيدة خنصالي، أمبرتو إيكو: في نقد التأويل المضاعف، ص ٤١.

دفاعًا عن الكشف المعارض لبعض ظواهر النص القرآني[١]. فما حدث هو أن تعدد القراءات أدى إلى تعدد المعاني لأنه لا يوجد إغلاق لعالم الإشارات[٢]، كما أنه من الاستحالة بمكان أن نضع تعريفًا أو توصيفًا للإله المطلق أو لتجلياته الكونية لذلك يُلجأ إلى الرمز حيث يتقبله العقل ويتفاعل معه ليصل إلى الحقيقة المعنوية منه[٣]، كما أن التصوف بحكم التجربة الدينية الخاصة منح أفقًا رحبًا في التأويل وانتاج قراءات تتوالد منها على الدوام قراءات[٤] وعليه صار التأويل مضاعفًا حتى ضاعت الغايات.

---

[١] يحيى محمد، الفلسفة والعرفان والإشكاليات الدينية، ص ٤٩٧.

[٢] بول ريكور، صراع التأويلات: دراسات هيرمينوطيقية، ص ١٠١.

[٣] جهاد إلياس الخوري، علوم الروح، ج١ ص ٣٥.

[٤] عبد الجبار الرفاعي، الدين والظمأ الانطولوجي، ص ١٣٦.

لقد أدى الاستناد إلى الآداب، من خلال الروايات التي يتم ترويجها، والأشعار، والموسيقى، وغيرها من "وجدانيات" تتفاعل نفسانيًا مع الإنسان، إلى صنع معرفة مزيفة، تبني المعارف على لغة شاعرية خيالية، وتملأ الرأس بالمغالطات المنطقية، وتجعل الأصل في التعامل مع الدين هو الفهم الذاتي الناشيء من قيمة الفردانية، المبنية على اللذة والمنفعة المادية، والتي عظمتها وبثتها الحضارة الغربية المعاصرة حيث لا تحتاج أن يفرض عليك اقتباس صورة لا تمثلك أو أن تعيش حياتك نيابة عن غيرك أو أن تكرر نماذج بشرية تطمس ذاتك[1]، وهذه كلها لها جذور في مفهوم التجربة الصوفية ساهمت بنشرها.

---

[1] عبد الجبار الرفاعي، الدين والظمأ الأنطولوجي، ص ١٤٥.

وتجدر الاشارة هنا إلى أن الطبيعة المادية التي تحكم الناس تجعلهم يتصورون المنفعة بلغة حسابية ويختبرونها بأدوات مخبرية، فطالما أن أثر الشيء لا يظهر بصورة مباشرة كما تظهر نتيجة (١+١) فإنّ منفعته مجهولة←

وهو ما إلتفت إليه ابن سينا، في الشفاء حين أشار إلى هذه الإشكالية وما فيها بقوله: "واعلم أن الاشتغال بتحسين الألفاظ في صناعة الخطابة والشعر أمر عظيم الجدوى. وأما التعاليم فإن اعتبار الالفاظ فيها أمر يسير ، ويكفي فيها أن تكون مفهومة، غير مشتركة، ولا مستعارة، وأن تطابق بها المعاني.

ولا يختلف التصديق في التعليم بأي عبارة كانت إذا عبّرت عن المعنى، وأما الاقناع في الخطابة، والتخييل في الشعر فيختلف في المعنى الواحد بعينه بحسب الألفاظ التي تكسوه . فينبغي أن يجتهد حتى يعبر عنها بلفظ يجعله مظنونًا في الخطابة، ومتخيلاً في

ومن ثم يجوز تركه والانتقال منه إلى منفعة أخرى، وهذا النظام التفكيري هو ما جعل كثير من المتدينين يلجؤون إلى ترك بعض التكاليف بهذه الذرائع كما تترك احداهن الحجاب بذريعة أن الإيمان في القلب وأنها محتشمة بلباسها وهذا يكفي، مهملة أن التكليف ليس خاضعًا لمقاصد دنيوية حاكمة عليه، ولا هو قائمة طعام يتم الاختيار منها، ولا أنه بالخيار وقابل للاستبدال والقبول الشخصي له وأن فائدته ليست بالأمور الحسابية حتى ينتقض حكمه بمجهولية فائدته أو بعدم الاقتناع به!

الشعر. فإن اللفظ الجزل يوهم أن المعنى جزل، واللفظ السفساف يجعل المعنى كالسفساف، والعبارة بوقار تجعل المعنى كأنه أمر ثابت، والعبارة المستعجلة تجعل المعنى كشيء سيّال. ولذلك فإن المشتغلين بالحقائق ، المتمكنين من المعرفة، المتحلين بالصدق لا يتعاطون طريقة تزيين الألفاظ ، فلا المهندس ولا معلم آخر يعنيه الاشتغال بالألفاظ وتحسينها ، إلا أن يكون ناقصًا أو مزورًا .."[1].

(١) ابن سينا، الشفاء، ج١٠ ص ٢٠٠.

ويقول المحقق الطوسي – قدس سره –: " فأقسام التصديقات بالاعتبار المذكور هي: علمي وظني ووضعي وتسليمي لا غير. ومبدأ البرهان علمي ومبادئ الجدل والخطابة والسفسطة هي الباقية أما الشعر فلا تدخل مباديه تحت التصديق إلا بالمجاز ولذلك لم يتعرض الشيخ لها" شرح الاشارات والتنبيهات، ص ١٢٣.

الحصيلة

حين يعيش الإنسان على هامش مدن تكوّن نقاط تقاطع لحضارات مختلفة، يشعر بالاغتراب، ويتملكه الإحساس بالإزدواجية، فيلجأ إلى الانتكاس إلى الذات والبحث عن المعنى فيها[١]، وإنسان هذا العصر الذي يعيش في عالم باتت مدنه كلها خطوط تماس تتصارع فيها حضارة عالمية كاسحة للأضعف منها، مع هويّات حضارية قديمة تنازع للبقاء، بات أسيرًا للتيه، والضياع، والشتات الداخلي، وصراع النفس والبحث عن الذات ومكابدة الحياة والتعطّش للاستقرار[٢]. وحين تتصادم هذه الحضارات والهويات يلجأ الإنسان في العادة إلى ضمها في

---

[١] راجع: عبد الوهاب المسيري، الحلولية ووحدة الوجود، ص ٢٨٤ وما بعدها،

[٢] محمد بن زايد، السر الكبير لرواية "ألخيميائي"، موقع مدونات الجزيرة.

بوتقة واحدة لو حللتها لوجدتها مزيجًا من التفكير الاسطوري والتفكير الفلسفي المجرد، وقادرة على استيعاب أي عنصر من الديانات الأخرى إن كان يدعم وجهة نظرها ولا تفرق بين الأنساق التاريخية والدينية والفلسفية المختلفة[1]. فالأهم هو محاولة جمع أكبر قدر من الناس والتآلف معهم لألاّ يشعر بالتوتر من التواجد في محيط متناقض. وهو ما يخلق طموحًا لتكوين دين فلسفي في ظاهره، تأويلي منفتح على شتى المشارب باطنًا.

لقد نشأ التصوف من رحم إلتقاء الحضارات في الحواضر الإسلامية، وأتى العرفان مهذبًا لهذا التصوف لكنه سرعان ما انزلق إلى اعتبار ما صدر من المتصوفة، مُبررًا شطحاتهم بتأويلاته الغريبة حتى أتت الحضارة المعاصرة التي تطمح للعالمية فرأت في

[1] راجع: عبد الوهاب المسيري، الحلولية ووحدة الوجود، ص ٢٨٧–٢٨٨.

هذه المدرسة منفذًا تلج فيه إلى إعادة صياغة المفاهيم الدينية لتتماشى مع متطلبات رأس المال والسوق الحرة التي لا تحتاج إلا لتسامحٍ وقبول للآخر، حتى يمكن لها أن تسوّق بضاعتها الفكرية والسياسية والاقتصادية في أي ناحية شاءت.

ما يحدث اليوم على الصعيد الديني، يدق ناقوس الخطر، فهذا التشويه المتعمد للدين وتمييعه بذرائع ارتقاء الروح على المادة، وأولوية الأخلاق على الدين، وهي مغالطة واضحة المعالم، سَوّق للتصوف والعرفان وعلى أيديهما تحولت المعارف إلى لغة شعرية خيالية، مفتوحة على شتى التأويلات[1]، وإلتقاطية شديدة

[1] أي أن النص الديني متاح لشتى التفسيرات والتأويلات لا ضابطة له إلا الكشف والذي يفتقد بنفسه إلى ضابطة تجعل له حجية على الآخرين، وحينها فالشريعة تكون خاضعة للمكلف لا أن المكلّف خاضع لأوامر ونواهي الشريعة. والصحيح ما أشار له ابن سينا: "..فظاهر من هذا كله أنّ الشرائع واردة لخطاب الجمهور بما يفهمونه، مقربًا ما لا يفهمونه إلى أفهامهم، بالتشبيه والتمثيل. ولو كانت غير ذلك لما أغنت الشرائع البتة .." ابن سينا، أضحوية في أمر المعاد، ص ٥٠.

الإلتقاط في التعامل مع الإرث الصوفي والسلوك العرفاني، منتقية فيما تريده منهما من قواعد، ومدعومة بآلة إعلامية ضخمة تروّج هذا الخطاب السهل المحبب للنفوس لتنشره بديلاً عن ما تسميه "كهنوت رجال الدين أهل الظاهر المتحجرين والإقصائيين والمتعصبين المتطرفين". لقد وجد المستشرقون، ومن وراءهم، في هذا المخزون ما يغنيهم عن إنشاء وهندسة خطاب إسلامي جديد، وكل ما احتاجوه هو إعادة صياغة منتقاة لهذا الخطاب القديم بعناية ليمارسوا من خلاله خدعهم.

لم يكن موقف علمائنا موقفًا من تهذيب النفس، وتزكيتها، والعمل على إصلاحها. بل كان موقفًا من استغلال النفس للوصول إلى غايات شيطانية، والشيطان لم يمت إلى الآن، ومن

الركون إلى سهولة الادعاء على مشقة العمل. فالبدع حلوة للنفس والعبادة ثقيلة عليها، ألا ترى لو قال خمسون عادلاً فاضلاً إنّ أبا عبد الله عليه السلام قال: من صلّى في ليلة الجمعة صلاة جعفر الطيار غفرت ذنوبه. ولها فضائل غير متناهية، فلا يرغب فيها من ألف إلا نفر، ولكن لو مروّا بأحد أماكن هؤلاء الأجلاف القائلين (يا ربّ يا ربّ) لدخلوا في حلقتهم بكلّ رغبة، وفعلوا أطوارهم إلى الصباح[1].

وفي الرواية عن الإمام الهادي عليه السلام: ".. لا تلتفتوا إلى هؤلاء الخداعين، فإنهم حلفاء الشياطين، ومخربوا قواعد الدين، يتزهدون لإراحة الأجسام، ويتهجدون لصيد الأنعام، يتجوعون عمرًا حتى يديخوا للإيكاف حمرًا، لا يهللون إلا لغرور

[1] العلامة المجلسي، عين الحياة، ج١ ص ٣٩٤.

الناس، ولا يقللون الغذاء إلا لملأ العساس واختلاف قلب الدفناس، يتكلمون الناس بإملائهم في الحب، ويطرحونهم بإدلائهم في الجب، أورادهم الرقص والتصدية، وأذكارهم الترنم والتغنية، فلا يتبعهم إلا السفهاء، ولا يعتقد بهم إلا الحمقى، فمن ذهب إلى زيارة أحدهم حيًا أو ميتًا، فكأنما ذهب إلى زيارة الشيطان وعبادة الأوثان ...

إلى أن يقول عليه السلام: .. من اعترف بحقوقنا لم يذهب في عقوقنا، أما تدري أنهم أخس طوائف الصوفية. والصوفية كلهم من مخالفينا، وطريقتهم مغايرة لطريقتنا، وإن هم إلا نصارى

ومجوس هذه الأمة، أولئك الذين يجتهدون في إطفاء نور الله بأفواههم ، والله متم نوره ولو كره الكافرون"[١].

لقد تحول العرفان والتصوف اليوم إلى نهج، وطريقة وسبيل يهدف إلى تفريغ النص الديني من محتواه وتحويله إلى مخزون بلاغي وشعري هدفه ترويج قيم غربية – ليبرالية تعمل جاهدة على خلق دين عالمي موحد.

لقدحطم هذا النهج المسيحية حتى صارت خاوية ودخل في البوذية وجعلها تجارة رابحة، وهكذا يأتي لكل دين من منفذ حب الإنسان لتمييز نفسه عن أقرانه بكونه حامل سر، وومفارق لاهتمامات الجَمع، وفي خضم ذلك ينسى الإنسان تكليفه لأنه

[١] الشيخ الحر العاملي، رسالة الاثنا عشرية في الرد على الصوفية، ص ٢٨–٢٩.

أنكر عقله وجعله مطية النفس الأمارة بالسوء، فيهمل أن معياره في أي عمل وأي شخص، سيما في تكليفه الديني، هم النبي الأكرم وآله عليهم السلام، وبمقدار ما التزموا نهج الآل فنحن معهم ونقدسهم أما اذا ابتعدوا عنهم ولو بمقدار أنملة لا نقول أنهم كفار لكن لا نقلدهم فيه.

هذا ما وجب التنبيه له، والحمد لله رب العالمين.

ع. ز.

ديسمبر ٢٠١٧م

ربيع الآخر ١٤٣٩ هـ

أهل البيت عليهم السلام

دعوا إلى معرفة الله

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«أولُ الدين معرفته، وكمالُ معرفته التصديق به، وكمالُ التصديق به توحيدُه، وكمالُ توحيده الإخلاصُ له، وكمالُ الإخلاص له نفيُ الصفات عنه، لشهادة كلِّ صفة أنها غير الموصوف وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة» نهج البلاغة ١٤/١.

وفي الكافي ٢٤٧/٨: «عن جميل بن دراج، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لو يعلم الناس ما في فضل معرفة الله عز وجل ما مدوا أعينهم إلى ما متع الله به الأعداء من زهرة الحياة الدنيا ونعيمها، وكانت دنياهم أقلَّ عندهم مما يطوونه بأرجلهم، ولنَعِمُوا بمعرفة الله عز وجل وتلذذوا بها تلذذ من لم يزل في روضات الجنان مع أولياء الله.

إن معرفة الله عز وجل أنْسٌ من كل وحشة، وصاحبٌ من كل وحدة، ونورٌ من كل ظلمة، وقوةٌ من كل ضعف، وشفاءٌ من كل سقم. ثم قال عليه السلام: وقد كان قبلكم قوم يُقتلون ويحرقون وينشرون بالمناشير وتضيق عليهم الأرض برحبها، فما يردهم عما هم

عليه شئ مما هم فيه، من غير تِرَةٍ وُتروا من فعل ذلك بهم ولا أذى، بل ما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد، فاسألوا ربكم درجاتهم، واصبروا على نوائب دهركم، تدركوا سعيهم».

وفي علل الشرائع ٩/١: «عن سلمة بن عطاء عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خرج الحسين بن علي عليه السلام على أصحابه فقال: أيها الناس إن الله جل ذكره ما خلق العباد إلا ليعرفوه فإذا عرفوه عبدوه، فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه».

وفي علل الشرائع ١٣/١: «عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ، قال: خلقهم ليأمرهم بالعبادة، قال: وسألته عن قول الله عز وجل: وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَ لِذَلِكَ خَلَقَهُمْ؟ قال: ليفعلوا ما يستوجبون به رحمته فيرحمهم».«أي خلقهم ليتكاملوا بعطائه حسب جهدهم».

شكوى الشيخ الأنصاري

من مُدَّعي العرفان

- كتب "العاملي":

بحث علماؤنا رضوان الله عليهم الحد الأدنى الواجب على المسلم من المعرفة، واتفقوا على أنه قليل مُيَسَّر، وأنه يكفي للمسلم معرفة الله تعالى بقدر معنى سورة التوحيد، وكذلك معرفة النبي والأئمة صلوات الله عليهم، وبقية العقائد التي جاء بها النبي ﷺ من العدل والمعاد والآخرة والجنة والنار. ففي الكافي ٩١/١: «عن عبد العزيز بن المهتدي قال: سألت الرضا عليه السلام عن التوحيد فقال: كل من قرأ قل هو الله أحد، وآمن بها، فقد عرف التوحيد، قلت: كيف يقرؤها؟ قال: كما يقرؤها الناس». انتهى.

فالصعوبة إذن ليست في المعرفة النظرية، بل في العمل والتطبيق!

وقد ناقش شيخ الطائفة الأنصاري قدس سره ما ذكره العلامة الحلي ويفهم منه أنه يجب على المسلم أكثر من ذلك، وبثَّ الشيخ الأنصاري بمناسبته شكواه من مدعي العرفان والعلم، الذين يغُشُّون الناس باسم معرفة الله تعالى ومعرفة النبي وآله عليهم السلام، وهم جهلاء لا يعرفون الفاعل والمفعول ولا البديهي من الكسبي!

قال رحمه الله في الرسائل ٢٧٥/١: «وقد ذكر العلامة في الباب الحادي عشر فيما يجب معرفته على كل مكلف، من تفاصيل التوحيد والنبوة والإمامة والمعاد، أموراً لا دليل على وجوبها كذلك، مدعياً أن الجاهل بها عن نظر وإستدلال خارج عن ربقة الإيمان مستحق للعذاب الدائم، وهو في غاية الإشكال. نعم يمكن أن يقال: إن مقتضى عموم وجوب المعرفة مثل قوله تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ، أي ليعرفون. وقوله': وما أعلم بعد المعرفة أفضل من هذه الصلوات الخمس، بناء على أن الأفضلية من الواجب، خصوصاً مثل الصلاة، تستلزم الوجوب. وكذا عمومات وجوب التفقه في الدين الشامل للمعارف بقرينة استشهاد الإمام عليه السلام بها لوجوب النفر لمعرفة الإمام بعد موت الإمام السابق وعمومات طلب العلم، هو وجوب معرفة الله جل ذكره ومعرفة النبي صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام ومعرفة ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله على كل قادر يتمكن من تحصيل العلم، فيجب الفحص حتى يحصل اليأس، فإن حصل العلم بشيء من هذه التفاصيل اعتقد وتدين به، وإلا توقف ولم يتدين بالظن لو حصل له.

ومن هنا قد يقال: إن الإشتغال بالعلم المتكفل لمعرفة الله ومعرفة أوليائه صلوات الله عليهم أهم من الإشتغال بعلم المسائل العلمية، بل هو المتعين، لأن العمل يصح عن تقليد، فلا يكون الإشتغال بعلمه إلا كفائياً بخلاف المعرفة.

هذا، ولكن الإنصاف ممن جانب الإعتساف يقتضي الإذعان بعدم التمكن من ذلك إلا للأوحدي من الناس، لأن المعرفة المذكورة لا تحصل إلا بعد تحصيل قوة استنباط المطالب من الأخبار وقوة نظرية أخرى، لئلا يأخذ بالأخبار المخالفة للبراهين العقلية، ومثل هذا الشخص مجتهد في الفروع قطعاً فيحرم عليه التقليد.

ودعوى جوازه له للضرورة ليس بأولى من دعوى جواز ترك الاشتغال بالمعرفة التي لا تحصل غالباً بالأعمال المبتنية على التقليد.

هذا إذا لم يتعين عليه الإفتاء والمرافعة لأجل قلة المجتهدين. وأما في مثل زماننا فالأمر واضح. فلا تغتر حينئذ بمن قصر استعداده أو همته عن تحصيل مقدمات استنباط المطالب الإعتقادية الأصولية والعلمية عن الأدلة العقلية والنقلية، فيتركها مبغضاً لها لأن الناس أعداء ما جهلوا، ويشتغل بمعرفة صفات الرب جل ذكره وأوصاف حججه صلوات الله عليهم، بنظرٍ في الأخبار لا يعرف به من ألفاظها

الفاعل من المفعول، فضلاً عن معرفة الخاص من العام. وبنظرٍ في المطالب العقلية لا يعرف به البديهيات منها، ويشتغل في خلال ذلك بالتشنيع على حملة الشريعة العملية واستهزائهم بقصور الفهم وسوء النية، فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ.

هذا كله حال وجوب المعرفة مستقلاً، وأما اعتبار ذلك في الإسلام أو الإيمان فلا دليل عليه، بل يدل على خلافه الأخبار الكثيرة المفسرة لمعنى الإسلام والإيمان. ففي رواية مُحَمَّد بن سالم عن أبي جعفر عليه السلام المروية في الكافي:إن الله عز وجل بعث مُحَمَّداً — صلى الله عليه وآله - وهو بمكة عشر سنين، ولم يمت بمكة في تلك العشر سنين أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّداً رسول الله، إلا أدخله الله الجنة بإقراره وهو إيمان التصديق، فإن الظاهر أن حقيقة الإيمان التي يخرج الإنسان بها عن حد الكفر الموجب للخلود في النار لم تتغير بعد انتشار الشريعة. نعم ظهر في الشريعة أمور صارت ضرورية الثبوت من النبي صلى الله عليه وآله فيعتبر في الإسلام عدم إنكارها. لكن هذا لا يوجب التغيير، فإن المقصود أنه لم يعتبر في الإيمان أزيد من التوحيد والتصديق بالنبي صلى الله عليه وآله وبكونه رسولاً صادقاً فيما يبلغ. وليس المراد معرفة تفاصيل ذلك، وإلا لم

يكن من آمن بمكة من أهل الجنة أو كان حقيقة الإيمان بعد انتشار الشريعة غيرها في صدر الإسلام. وفي رواية سليم بن قيس عن أمير المؤمنين عليه السلام:إن أدنى ما يكون به العبد مؤمناً أن يعرفه الله تبارك وتعالى إياه فيقر له بالطاعة، ويعرفه نبيه فيقر له بالطاعة ويعرفه إمامه وحجته في أرضه وشاهده على خلقه فيقر له بالطاعة. فقلت له: يا أمير المؤمنين وإن جهل جميع الأشياء إلا ما وصفت قال:نعم. وهي صريحة في المدعى». انتهى.

أقول: وبهذه الشكوى البليغة من مرجع الطائفة الكبير الشيخ الأنصاري رحمه الله ننبه شبابنا وبناتنا إلى خطأ تصورهم وخطأ من يُصور لهم أنه يجب عليهم معرفة الله تعالى بأكثر مما يفتي به مراجع تقليدهم! وخطأ تصورهم أن ذلك لا بد أن يكون بواسطة أستاذ يوجههم ويربيهم تربية الشيخ لمريديه، والآمر لمأموريه!

وفي عصرنا زادت أبواب الضلال بخروج أشخاص يَدَّعُون الإرتباط بالإمام المهدي أرواحنا فداه، وبعضهم يدعي أنه أمره أن يكون سفيره أو ينصب نفسه مرجع تقليد وقائد ثورة! وبعضهم ادعى أنه ابنه ووصيه وسفيره إلى العالمين..الخ.

وقد وجدوا لهم بعض الأتباع بسبب موجة التدين القوية في الأمة، وجهل الناس بدينهم!

- فكتب "المحمدي" سؤالاً نصّه:

مولاي كيف أعلم أني قد وصلت إلى معرفة الله عز وجل؟

- وأجابه العاملي:

الأخ المحترم،

أفضل الحالات أن تقول: أنا أحرص أن أكون عبداً حمالاً كما أمرني ربي، ولا أدري مقامي عند ربي ولا أجرتي عنده.

إياك أن يكون هدفك أن تكون عارفاً.. أو تكون صاحب أي مقام، فهو شرك في النية يقذفك بعيداً عن العرفان، وكذلك احذر أن يكون هدفك من عبادتك النصر في الدنيا، أو أي شيء يتعلق بإثبات الذات.

إن مشكلة المدعين أنهم من الخطوة الأولى والنية الأولى يحذفون أنفسهم بعيداً، ويمتهنون لقلقة اللسان والإدعاءات الفارغة، حتى

يدعي أحدهم أن عنده الاسم الأعظم، وهو مسكين ليس عنده اسم ولا رسم.

العرفان حق

لكن صاحبنا ليس هو المطلوب

- كتب "العاملي":

حدثني يوماً أستاذي في النجف عن العرفان والعارفين، وأن بعضهم أهل كرامات ومكاشفة، وسمى لي منهم أشخاصاً بعضهم من أهل العلم وبعضهم من الكسبة، وأخبرني أنه يحضر أسبوعياً عند أحدهم، وأني أستطيع الحضور، فشكرته.

وفي الموعد في بيت أحدهم حضر الأستاذ فرأيت أستاذي والحاضرين احترموه وهابوه، وتأدبوا بين يديه وأصغوا بكلهم اليه.

كان درسه أو حديثه في شرح آية الكرسي، وقد اعتمد على التصوير والتذكير أكثر من المطلب العلمي، فاستفدنا وتأثرنا والحمد لله. وتضمن درسه التالي وما بعده توجيهات مفيدة، كقوله: كل مشكلات الإنسان من الوهم والخيال، والوهم هو الخوف غير الشرعي، والخيال هو الأمل غير الشرعي. وقوله: أنظر أمامك في الصلاة عند محل سجودك، وأرْخِ عينيك ولا تحدق، مع ما استفدناه منه رحمه الله من أفكار عن مراقبة النفس ومجاهدتها إن طمحت إلى الحرام أو المكروه، وإجبارها إن استعصت على فعل الخير وقيام الليل...الخ. وكانت فترة نافعة بما فيها تكاليف الأستاذ في مراقبة النفس، وكان

أنفعها برامج العبادة اليومية، والإعتكاف في مسجد الكوفة ثلاثة أيام، وزيارة الإمام الحسين عليه السلام سيراً على الأقدام.

ومضت الأيام لأكتشف في هذا الأستاذ ما لا أحب، رأيته يأكل دائماً بنَهَمٍ، ويتخير أنواع الأطعمة، ويتحدث عنها بلهفة وإسهاب، ورأيته يأكل المال أكلاً لمّا، وبعض ما يأخذه برأيي حرام، ثم رأيته لا يتحمل إشكالاً حتى لو كان علمياً، وأشكل شخص عليه فكرهه كرهاً غليظاً، ولم يغفر له «ذنبه» بل لم يكن يترك فرصة إلا وانتقده وطعن عليه، بما فيه وما ليس فيه! وآخر ما وصلت اليه من التأمل في حالة هذا الأستاذ: أن طريق العرفان ومراقبة النفس حق، لكن صاحبنا ليس هو المطلوب!

غير أنك ستعتبر صاحبنا قديسًا بالنسبة إلى بعض من يدعي العرفان! عندما تجد فيهم قاتل النفس المحترمة بالمعنى الحقيقي للقتل! وتجد فيهم الكذّاب المزيف، وصاحب الدكان، وناصب الفخ لصيد بسطاء العوام!

فالعرفان عند هؤلاء البؤساء ليس أكثر من تعلم لقلقة اللسان، فهو طريقٌ لتحقيق الذات، ونيل الشهرة، وكسب السحت من المال!

وهؤلاء ليسوا أبناء اليوم، فهم ظاهرة قديمة من مطلع الإسلام، وقبل الإسلام في المسيحية واليهودية! ولو ألَّفْتَ فيهم كتاباً لملأته بطرائف قصصهم وغرائبها، لكنه يضر أكثر مما ينفع، لأن بعض قرائه سيفرط في الحكم ويكفر بكل العرفان والعارفين، مع أن فيهم أخياراً أبراراً أهل حق وصدق، وفيهم أولياء الله، لو أقسم أحدهم على الله لأبرَّ قسمه!

وأبلغ ما قرأت في تحليل شخصياتهم ما علمنا إياه الإمام زين العابدين عليه السلام فقال: «إذا رأيتم الرجل قد حَسَّنَ سَمْتَه وهَدْيَه، وتَمَاوَتَ في منطقه، وتَخَاضَعَ في حركاته، فَرُوَيْداَ لا يَغُرَّنَّكم، فما أكثر من يعجزه تناول الدنيا وركوب الحرام منها لضعف نيته ومهانته وجُبن قلبه، فنصب الدين فخّاً لها، فهو لا يزال يَخْتِلُ الناس بظاهره، فإن تمكن من حرام اقتحمه.

وإذا وجدتموه يَعِفُّ عن المال الحرام، فرويداً لا يغرنكم، فإن شهوات الخلق مختلفة، فما أكثر من يَنْبُو عن المال الحرام وإن كثر، ويحمل نفسه على شَوْهاء قبيحة فيأتي منها مُحَرَّماً.

فإذا وجدتموه يَعِفُّ عن ذلك فروويداً لا يَغُرَّنَّكُم، حتى تنظروا ما عَقَدَهُ عقله، فما أكثر من ترك ذلك أجمع، ثم لا يرجع إلى عقل متين، فيكون ما يفسده بجهله أكثر مما يصلحه بعقله.

فإذا وجدتم عقله متيناً، فروويداً لا يغركم، حتى تنظروا أمع هواه يكون على عقله، أو يكون مع عقله على هواه، وكيف محبته للرئاسات الباطلة وزهده فيها؟ فإنَّ في الناس من خسر الدنيا والآخرة بترك الدنيا للدنيا! ويرى أن لذة الرئاسة الباطلة أفضل من لذة الأموال والنعم المباحة المحللة، فيترك ذلك أجمع طلباً للرئاسة حتى إذا قيل له اتَّقِ الله أخذته العزَّةُ بالإثم، فحسبه جهنم ولبئس المهاد! فهو يخبط خبط عشواء، يقوده أول باطل إلى أبعد غايات الخسارة، ويمدُّه ربه بعد طلبه لما لا يقدر عليه في طغيانه! فهو يُحِلُّ ما حَرَّم الله ويُحَرِّمِ ما أحل الله، لا يبالي بما فات من دينه إذا سلمت له رئاسته التي قد يتقي من أجلها! فأولئك الذين غضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم عذاباً مهيناً.

ولكن الرجل كلَّ الرجل نعمَ الرجل، هو الذي جعل هواه تبعاً لأمر الله، وقواه مبذولةً في رضا الله، يرى الذلَّ مع الحق أقرب إلى عز الأبد من العز في الباطل، ويعلم أن قليل ما يحتمله من ضرائها

يؤديه إلى دوام النعيم في دار لا تَبيد ولا تَنْفَد، وأن كثير ما يلحقه من سرائها إن اتبع هواه يؤديه إلى عذاب لا انقطاع له ولا زوال.فذلكم الرجل نعم الرجل، فبه فتمسكوا وبسنته فاقتدوا، وإلى ربكم به فتوسلوا، فإنه لا تُرَدُّ له دعوة ولا تَخِيبُ له طَلِبَة». «الإحتجاج:١/٥٤».

وفي الكافي:١/٤٩، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «طلبة العلم ثلاثة فاعرفهم بأعيانهم وصفاتهم: صنفٌ يطلبه للجهل والمراء، وصنف يطلبه للإستطالة والختل، وصنف يطلبه للفقه والعقل. فصاحب الجهل والمراء مُوذٍ مُمَارٍ متعرضٌ للمقال في أندية الرجال، بتذاكر العلم وصفة الحلم، قد تسربل بالخشوع وتخلى من الورع! فدق الله من هذا خيشومه وقطع منه حيزومه!

وصاحب الإستطالة والختل ذو خب وملق، يستطيل على مثله من أشباهه، ويتواضع للأغنياء من دونه، فهو لحلوائهم هاضم، ولدينه حاطم فأعمى الله على هذا خبره، وقطع من آثار العلماء أثره!

وصاحب الفقه والعقل، ذو كآبة وحزن وسهر، قد تحنك في بُرْنُسه وقام الليل في حَندسه، يعمل ويخشى، وجلاً داعياً مشفقاً، مقبلاً

على شانه، عارفاً بأهل زمانه، مستوحشاً من أوثق إخوانه، فشدَّ الله من هذا أركانه، وأعطاه يوم القيامة أمانه».

- فكتب "آرميا" سؤالاً للعاملي نصه:

ولي سؤال بعد إذنكم، طلب أحد الأخوة شرح نص من دعاء الصباح والمناجاة الشعبانية فطلبتم سندًا صحيحًا، فهل هذه الأدعية مشكوكة السند؟

- أجابه العاملي:

الأخ المحترم،

لا أعرف أحداً من فقهائنا صحح سند هذين النصين المحترمين، ورأيي أن كثيراً من مضامينهما صحيحة، لورودها في روايات أخرى صحيحة، وبعضها غريب على لغة أهل البيت صلوات الله عليهم، وهو من إضافات عوام الصوفيين الحشويين.

وقراءة الدعاء لا تحتاج إلى سند أصلاً، فأي كلام مالم يكن فيه محرماً.. تصح قراءته وفيه ثواب.

نعم، نسبة مفاهيم النص الذي لم يثبت سنده إلى المعصوم صلوات الله عليه، لا يجوز.

أما الزيارة الجامعة الصغيرة والكبيرة فسندهما صحيح عند أكثر فقهائنا، ويصح الإستدلال عليهما أيضًا بعلو متنهما. ويجب الحذر والاحتياط من نسبة أي شيء غير مؤكد إلى المعصوم صلوات الله عليه، فما هو موقفك لو جئت يوم القيامة، وقال المعصوم لربه: إلهي هذا كذب علي ونسب إلي ما لم تثبت عنده نسبته إلي، فماذا يكون مصيرك ؟

أما زيارة عاشوراء فصحيحة سنداً، وقد ألف بعض العلماء مؤلفاً في رد الشبهات التي أثيرت على سندها [*].

ويصح الاستدلال على صحتها أيضاً بتواتر عمل فقهاء الطائفة ومتدينيها عليها، وعلى مضامينها من عهد الأئمة صلوات الله عليهم إلى يومنا هذا.

[*] راجع مثلاً كتاب «الرد على مدعي التزوير في زيارة عاشوراء» للشيخ حب الحسين.

ونصيحتي إلى الإخوة الأعزاء،

أن لا ينسبوا إلى المعصومين صلوات الله عليهم إلا بدليل يبرئ الذمة من اجتهاد أو تقليد، وكل ما لا تعرف ثبوت صدوره عنهم، فإما أن تجتهد في صحة نسبته، أو تستفتي مرجع تقليد في ذلك، عندها فقط يكون عندك حجة أن تضع كلاماً في عنق المعصوم صلوات الله عليه، وإلا فتهيأ للجواب.

أنا شخصياً قد أقرأ دعاء الصباح أو الزيارة الشعبانية، لكن بنية نص لا بنية الورود، أما العبارات التي قلت إنها من إضافات عوام الصوفية، فقد يطول فيها البحث، ويمكن أن تعرفها من عدم ورود نص الفقرة ولا مضمونها، في أي حديث صحيح عن الأئمة صلوات الله عليهم، إلا في هذا النص.

- كتب "طالب المريدين":

ذكرتم أن الكيف هو المهم والمعرفه هي الأهم، والإلتزام بالأدعية. مولانا وما سؤالنا إلا لتحقيق ذلك، وهذا شهر النفحات والمعرفه من خلال أمور كالمناجاة الشعبانية التي هي مشهوره في كتب الأدعية

وتعامل العلماء ولقد سألتكم مولانا إلى الآن لم يتضح لي، هل ندعو للأجر على قاعدة التسامح في أدلة السنن أو طلب نعيشه؟ حقا؟

وأكرر سؤالي هل نقرأ وألحقني بنور عزك الأبهج فاكون لك عارفًا. وإلهي هب لي كمال الانقطاع إليك. أو ننصرف عن ذلك؟

ذكرتم القراءه لسادة العارفين من أهم الأمور. فهل السيد علي القاضي من العارفين جدًا، وكذا السيد العلامة الطباطبائي حتى نعتمد على منازلهما؟ وإذا كانا كذلك فالحقيقة أنهما يقولان بضرورة المرشد.

- كتب "العاملي":

التسامح في أدلة السنن قاعدة فقهية، لابد لك أن تلتزم فيها بفتوى مرجع تقليدك، والسيد القاضي والسيد الطباطبائي من كبار العلماء رضوان الله عليهما، لكن تقليدهما لا يبرئ ذمتك، وآراؤهما العلمية محترمة تخضع للنقاش.

أما سؤالك: "وأكرر سؤالي هل نقرأ: وألحقني بنور عزك الأبهج فأكون لك عارفاً؟ وإلهي هب لي كمال الانقطاع؟"

فإن كمال الإنقطاع والدخول في عز الله الأبهج درجة عظيمة، تعني العصمة الكاملة، وهي جبّة كبيرة عليك وعلينا، فاطلب من الله أن يهب لك أداء الواجب وترك الحرام، والبعد عن أكل النجس والمغصوب والمشتبه، فهذا يكفي لتطوير الشخصية ودخول الجنة.

- كتب "رافد النجفي" تعليقًا، هو:

بوركت شيخنا العاملي،

ونحن متفقين معك أن طريق العرفان لا يكون إلا عن طريق آل البيت عليهم السلام، ونحن نعرف الكثير من الدجالين الذين انتحلوا هذا الطريق، أمثال هذا المدعو الذي بينك وبينه خصومه، أما عن سند دعاء الصباح، أعتقد إني رأيت في النجف هذا الدعاء وبخط الإمام علي عليه السلام... ألا يكفي هذا دليلاً على صحة سنده.

والسلام عليكم.

- وكتب "ابن بيروت":

كثر الكلام حول زيارة عاشوراء المذكورة في كتاب مفاتيح الجنان للشيخ القمي رحمه الله، فما هو رأيكم في ثبوتها أي هل يقرؤها من يقلدكم بنية الاستحباب أم غير ذلك ؟

- فكتب "العاملي":

الأخ المحترم رافد النجفي،

لم يثبت عند أحد من فقهائنا بسند صحيح، شيء مما هو منسوب إلى خط أمير المؤمنين صلوات الله عليه، فلا يمكن الاستدلال بالخطوط المنسوبة إليه عليه السلام، ونسبة ذلك النص إليه.

الأخ المحترم ابن بيروت،

الفرق كبير بين مثل دعاء الصباح والمناجاة الشعبانية، وزيارة عاشوراء، لأنه ليس فيهما أمور من أصول العقائد، فلا يترتب على عدم ثبوت سندهما أمر عقدي، بينما زيارة عاشوراء فيها البراءة وهي ركن في المذهب، وإن ناقش أحد فلا أقل أن فيها ثقافة البراءة التي هي من أركان ثقافة المذهب.

- كتبت "زهر الياسمين":

شيخنا العاملي الكريم،

مما قرأته من موضوعكم أنكم ترون الاكتفاء بما ورد نصًا واضحًا من أهل البيت عليهم السلام للتعبد به، فهل بالإمكان وضع نقاط أساسية على ضوء ما ثبت لديكم نصه لمساعدة السائرين خاصة وأننا على مشارف بداية شهر شعبان وشهر رمضان والناس بحاجة لخطة عملية واضحة المعالم يطمئن لها المسلم في عبادته؟

فهمت أيضًا أنه لا إشكال في قراءة المناجاة ودعاء الصباح بمسمى الذكر لله وليس بمسمى صدوره عن المعصوم بشكل قطعي، كذلك يدخل أيضًا من ضمن ذلك الصلوات الموجودة في ضياء الصالحين ومفاتيح الجنان والمنسوبة لأهل البيت عليهم السلام فهل هذه الصلوات ثابتة سندًا؟

كصلاة الاستغاثة بفاطمة الزهراء مثلاً أو صلاة الإمام الحجة عليه السلام وإذا لم تكن ثابتة سندًا هل هناك إشكال شرعي في صلاتها بهذه الكيفية؟

كذلك بعض الأذكار الواردة في مفاتيح الجنان كذكر يا فتاح الذي يُقال بعد صلاة الصبح أو تكرار بعض الآيات للحفظ والموجودة في التعقيبات لو أراد الشخص أن يتعبد لله بها هل تساعده في سيره وسلوكه ؟

- فكتب "العاملي":

الأخت المحترمة زهر الياسمين،

نحن في عصر أخرج فيه كل ذي صيصية صيصيته، وكثرت فيه أنواع الضياع عن هدى أهل البيت صلوات الله عليهم، وعدد منها ما يتم باسمهم، فلا بد للمكلف الذي يريد تبرئة ذمته من ميزان، وفي برنامج عبادته من اطمئنان، والميزان هو تقليد المؤمن غير المجتهد، لمرجع يعتقد بأنه أعلم بكتاب الله تعالى وسنة نبيه وآله الطاهرين، وأقدر على استنباط الحكم والمفهوم منها.

والميزان هو مشهور المذهب الذي وصل إلينا بجهاد مباركة، وجهود مضنية، ودماء زاكية وسطور من فقهاء كبار لها ثواب الدماء كتبوا فيها أحاديث النور أحاديث خير الخلق نبينا وعترته صلوات الله عليهم، وشروحاتهم، وتوضيحاتهم التي فيها العلم والهدى.

وما دمت سألتني لكي تعملي فأرجو أن تنفعك إجابتي:

١- لا منازل الهروي الحشوي ولا من ينزلون، ولا معارج ابن عربي الناصبي ولا من يعرجون، ولا النظريات الخيالية لأتباع الفلسفة اليونانية المنقرضة، المقدسين لفلاسفتها التعبانين أتباع الظنون، كتقديسهم للمعصومين أصحاب الهدى والعلم واليقين .*

٢- بينتُ لكِ أن أعلى أنواع المعرفة هو معرفة سادة العارفين، وقراءة سيرتهم وكلامهم وأفعالهم، والتأمل فيها، ومعايشتها، فإنها تشع على الفكر والروح بشعاع علوي منير، أين منه ظلمات الحشوية، وهرطقة المتفلسفة!

فاقرئيهم، ولا تقولي قرأت.. فهم القرآن الناطق، وفي سيرة كل منهم الجديد دائماً لكل عقل وكل روح، وما أكثر من يقرأ القرآن ولا يقرؤه، وما أكثر ما نقرأ القرآن فنعرف أنا سابقاً لم نقرؤه.

في شعبان إقرئي أحدهم، وفي رمضان آخر، أو أعيدي ما قرأته.

---

* يشير الشيخ هنا إلى أنّ ما يتم ترويجه الآن لشخصيات متصوفة وكتبها على أنها الطريق للعرفان غير صحيح، ومنهم أبو إسماعيل الهروي صاحب منازل السائرين وابن عربي صاحب الفصوص والفتوحات وغيرهم. كذلك نقطة هنا يجب ذكرها وهي أنّ الفلسفة تختلف عن القواعد العقلية القطعية القائمة على القضايا البديهية، فإن الأولى وإن كانت تبتني عليها إلا أنها ليست معصومة لدخالة أمور أخرى بها تطلب في محلها. [المعد]

والمهم نوع القراءة.

٣- في البناء الإيماني والروحي، ينبغي للمؤمن أن يعرف المستوى الطبيعي المقبول له «Normal» ثم يكون له جهدان دائمان، أولهما لحفظ هذا المستوى، وثانيها لرفع درجته.

مثلاً مستوى فلان أنه عندما تذكر ظلامة أهل البيت عليهم السلام بشكل مؤثر يبكي، وعندما يقرأ دعاء يبكي، وعندما يتذكر الموت والحشر والحساب يبكي، فإن رأى أن مستواه انخفض فليعالجه، ومعالجته تختلف باختلاف الناس واختلاف أسباب انخفاضه، كاختلاف حاجة البدن إلى مغذيات ومقويات، فلا بد للمؤمن أن يعرف السبب، أو على الأقل العلاج، فقد يكون العلاج بدعاء، أو بقراءة أو بسماع حديث، أو بزيارة معصوم أو مؤمن، أو بترك شخص قاسي القلب، أو بترك طعام... إلى آخره.

٤ - وأما رفع المستوى، فله وسائله، ومنها موسم شهر شعبان ورمضان، ووسائله عديدة منها ما ذكرت من الأدعية، ومنها قراءة القرآن: إن الثواب ليس على الكم، بل على النوع والتأثر العميق الذي يتحول إلى فكر وسلوك، فاكتشفي كيف تتأثرين بالقرآن، مثلاً داعيكم، من أحسن ما يؤثر فيَّ بعض قراءات التجويد أستعيدها

وأصغي لها وأرددها مع القارىء، وأركز في نفسي من المتكلم بها، ومن المخاطب، والقراءة التكرارية، أقرأ الصفحة أو الآية، وأعيدها وأرفع صوتي أو أخفضه، وقد أكرر الكلمة أو الفقرة، وأعقب عليها بما أعيشه من فكرة أو دعاء، وهذه القراءة تصلح للإنسان وحده، حتى لا يقال عنه شاذ أو مجنون!

٥ - إلزام الإنسان نفسه ببرنامج أدعية وصلوات وأذكار وتلاوة قسم من القرآن، أمر مفيد لمن رآه الأنفع له لحفظ مسواه الفكري والروحي، أو لرفع مستواه، وهناك أسلوب آخر.. أستعمله أحياناً، فأقلب مفتاح الجنات، والصحيفة، والقرآن، أو أستخير على مداواة نفسي بأيها أو بالصلاة، وأختار من ذلك شيئاً وأخاطب ربي فيه، أو أستمع إليه وهو يخاطبني، وقد أطوي نافلتي طياً لأكون أكملت ركعاتها، وأركز منها على ركعتين فأجعلهما قصيدتي.

لست في هذا أدعو إلى طريقة، وإنما أبين الهدف وأن تحصيله يختلف باختلاف الناس، وقد يكون ما ينفعني لا ينفع الآخر وبالعكس.

٦ - أعيد التأكيد على أن الذي يبرئ ذمتك هو العمل بفتوى مرجع تقليدك، سواء في الأحكام الشرعية، أو في معالم الدين ومفاهيمها،

أو في طريقة العرفان والتعبد، ومقولة لا تقليد في أصول الدين، تصور خاطئ وأحياناً تزوير لإبعاد المسلم عن مراجع التقليد وجرهم إلى آراء أشخاص شاذين عن مشهور المذهب!

- علّقت "زهر الياسمين":

ذكرتم نماذج قيمة جدًا تساعد الإنسان في اضافة بُعد أعمق وأقوى في علاقته بالله وخاصة التخاطب مع الله عن طريق كتابه الكريم والتفاؤل بالقرآن لتهذيب النفس أو لإحداث حالة من الخشوع والإنكسار في القلب لكن أحيانًا تظهر آية للإنسان يصعب عليه إدراك المقصود منها أو المطلوب منه فكيف يتصرف الإنسان في مثل هذه الحالات ؟

كذلك لمست أن لتكرار ذكر معين لفترات طويلة أثر في النفس لانعكاس أثر الذكر كما يقولون، فهل استخدام الاذكار بهذه الطريقة معيق للإنسان ويدخله من ضمن المتصوفة الذين ذكرتهم ؟

لأنه من الملاحظ أيضًا أن آيات معينة من القرآن الكريم تحدث أثرًا معينًا كالمعوذات لتحريز الانسان أو بعض الآيات للحفظ وغيرها من الأدعية أو الآيات. فهل يجب أيضًا مراجعة فتوى المقلد بخصوصها ؟

وإن كنت لا أعلم فتواه أو لا استطيع الاستعلام عن هذه الفتوى ألا يجوز لي استخدامها؟

- كتب "العاملي":

بدل تعبير التفؤل بالقرآن: عندما يكون عندك وقت قليل، أو تريدين معالجة حالة أو رفع المستوى الروحي، يمكن أن تدعي الله تعالى أن ينفعك بكتابه الكريم، وتفتحي القرآن وتقرئي الصفحة اليمنى أو التي تنوينها، وتجدين فيها مطلبك إن شاء الله.

وما لا يستطيع الإنسان أن يفهمه من القرآن، يتركه، ويأخذ غيره. ولا بأس بتكرار الذكر حتى لو حسبوا الإنسان متصوفاً، فلا عقدة عند علماء الشيعة من التصوف بل يصح عد بعضهم متصوفاً بالمعنى العام، والذكر المطلق مستحب بفتوى كافة الفقهاء، تقبل الله عملك.

معنى قول أمير المؤمنين عليه السلام:

من عرف نفسه فقد عرف ربه

- كتب "العاملي":

أصل هذا الحديث مروي في بعض المصادر عن النبي صلى الله عليه وآله، وقد نسب إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وأقوى ما يمكن أن يستدل به على صحته هو تلقي بعض المتخصصين في الحديث له بالقبول.

ففي أمالي السيد المرتضى رحمه الله ١٩٨/١:

«روي أن بعض أزواج النبي ﷺ سألته متى يعرف الإنسان ربه فقال إذا عرف نفسه».

وفي محاسبة النفس للكفعمي رحمه الله ص١١:

وروي أنه دخل على رسول الله ﷺ رجل اسمه مجاشع، فقال: يا رسول كيف الطريق إلى معرفة الحق؟ فقال عليه السلام: معرفة النفس. فقال: يا رسول الله كيف الطريق إلى موافقة الحق؟ قال: سخط النفس. فقال: يا رسول الله فكيف الطريق إلى وصل الحق؟ قال: هجر النفس. فقال: يا رسول الله فكيف الطريق إلى طاعة الحق؟ قال: عصيان النفس. فقال: يا رسول الله فكيف الطريق إلى ذكر الحق؟ قال: نسيان النفس. ‹صفحة ١٢› فقال: يا

رسول الله فكيف الطريق إلى قرب الحق؟ قال: التباعد عن النفس. فقال: يا رسول الله فكيف الطريق إلى أنس الحق؟ قال: الوحشة من النفس. فقال: يا رسول الله كيف الطريق إلى ذلك؟ فقال: الاستعانة بالحق على النفس.

وفي الصراط المستقيم للبياضي رحمه الله ١/ ١٥٦:

«قال عز الدين المقدسي في تفسير كلامه: من عرف نفسه فقد عرف ربه: الروح لطيفة ربانية لاهوتية في جثة ناسوتية دالة من عشرة أوجه على وحدانية ربانية:

١ - لما حركت الهيكل ودبرته، علمنا أنه لا بد للعالم من محرك ومدبر.

٢ - دلت وحدتها على وحدته.

٣ - دل تحريكها للجسد على قدرته.

٤ - دل اطلاعها على ما في الجسد على علمه.

٥ - دل استواؤها إلى أعضائه على استوائه إلى خلقه.

٦ - دل تقدمها عليه وبقاؤها بعده على أزله.

٧ - دل عدم العلم بكيفيتها على عدم الإحاطة به.

٨ - دل عدم العلم بمحلها من الجسد على عدم أينيته.

٩ - دل عدم مسها على امتناع مسه.

١٠ - دل عدم إبصارها على استحالة رؤيته.

وفي عوالي اللئالي لابن أبي جمهور الأحسائي رحمه الله ٤/ ١٠٢: وقال النبي صلى الله عليه وآله: " من عرف نفسه فقد عرف ربه ".

والحديث يتركز على معرفة محدودية النفس ونقائصها، وتنبيهنا إلى العجز عن معرفة كنهها، فهو:

* من ناحية نظرية تنبيه على معرفة الخالق الكامل بمعرفة المخلوق الناقص،

* ومن ناحية سلوكية توجيه لنقد النفس ومحاسبتها حتى لا تقع في العجب والظنون والخيال.

بينما يراد له أن يكون منهجاً للمعرفة الذاتية، ونتيجتها ادعاء وصول الإنسان عن طريق معرفة نفسه إلى مقامات ودرجات كدرجات الأولياء والأنبياء صلوات الله عليهم!

والحديث غريب عن هذا الاتجاه والمسلك.

- كتب "الرند العلوي" تعليقًا قال فيه:

سماحة الشيخ حفظه الله،

من يطلع على كلامهم يعرف أن هذا المنهج ليس منهجًا ذاتيًا، بل له قواعد تحكمه، وحتى الكشوفات ما لم تتوافق مع مبتنياتهم في الكشف الصحيح لا يعتمد عليها، وأعلى الكشوفات لديهم القرآن الذي تصحح به جميع الكشوفات، وكذلك أقوال المعصومين، والبراهين العقلية، وهذا كله موجود في كتبهم.

وهذا الحديث إذا جمعنا إليه أحاديث أخرى فسوف يتم تفسيره بشكل أفضل، وليس كما قلتم حفظكم الله، ويرد على كلامكم بهذا الحديث من كتاب الغرر والدرر لعلم الهدى ج ٢، ص ٣٢٩ وهو موجود بلفظ آخر «أعلمكم بنفسه أعلمكم بربه»، وهو مروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو في معنى عكس النقيض كما في

قوله تعالى: «نسوا الله فأنساهم أنفسهم». وقد أنهى بعضهم تفسير هذا الحديث إلى ١٢ قولاً.

- فكتب "العاملي" ردًا:

الأخ المحترم،

على فرض صحة هذا الحديث فهو يدل على أن الإنسان كلما عرف نفسه بالإمكان والنقصان، عرف ربه بالوجوب والتمام، فهو يؤكد التركيز على محدودية النفس ومكافحة العجب والغرور، ولا يدل على أن معرفة النفس طريق عملي لمعرفة الله تعالى. فاتجاه هذا الحديث وأمثاله إلى مكافحة الغرور والعجب، بينما اتجاه من جعل معرفة النفس طريقاً فكرياً وعملياً أن يقول للإنسان إنك موضع تجلي الله تعالى، وخليفته في أرضه... الخ! فهم على النقيض من معنى الحديث ومؤيداته الكثيرة، وهم أقرب إلى من ينفخ في ذاتية الإنسان ويوهمه أنه إله صغير!

لاحظ هذه النصوص وهي كل ما روي في الموضوع أو جله، وقد أورد منها صاحب الميزان رحمه الله العديد، قال في: ٦/ ١٧٣: «وفي الدرر والغرر عن علي عليه السلام قال: العارف من عرف نفسه فأعتقها

ونزهها عن كل ما يبعدها. أقول: أي أعتقها عن أسارة الهوى ورقية الشهوات.

وفيه عنه عليه السلام قال: أعظم الجهل جهل الانسان أمر نفسه.

وفيه عنه عليه السلام قال: أعظم الحكمة معرفة الانسان نفسه.

وفيه عنه عليه السلام قال: أكثر الناس معرفة لنفسه أخوفهم لربه.

أقول: وذلك لكونه أعلمهم بربه وأعرفهم به، وقد قال الله سبحانه: " إنما يخشى الله من عباده العلماء".

وفيه عنه عليه السلام قال: أفضل العقل معرفة المرء بنفسه فمن عرف نفسه عقل، ومن جهلها ضل.

وفيه عنه عليه السلام قال: عجبت لمن ينشد ضالته، وقد أضل نفسه فلا يطلبها.

وفيه عنه عليه السلام قال: عجبت لمن يجهل نفسه كيف يعرف ربه؟

وفيه عنه عليه السلام قال: غاية المعرفة أن يعرف المرء نفسه.

أقول: وقد تقدم وجه كونها غاية المعرفة فإنها المعرفة حقيقة.

وفيه عنه عليه السلام قال: كيف يعرف غيره من يجهل نفسه.

وفيه عنه عليه السلام قال: كفى بالمرء معرفة أن يعرف نفسه، وكفى بالمرء جهلا أن يجهل نفسه.

وفيه عنه عليه السلام قال: من عرف نفسه تجرد.

أقول: أي تجرد عن علائق الدنيا، أو تجرد عن الناس بالاعتزال عنهم، أو تجرد عن كل شئ بالإخلاص لله.

وفيه عنه عليه السلام قال: من عرف نفسه جاهدها، ومن جهل نفسه أهملها.

وفيه عنه عليه السلام قال: من عرف نفسه جل أمره.

وفيه عنه عليه السلام قال: من عرف نفسه كان لغيره أعرف ومن جهل نفسه كان بغيره أجهل.

وفيه عنه عليه السلام قال: من عرف نفسه فقد انتهى إلى غاية كل معرفة وعلم.

وفيه عنه عليه السلام قال: من لم يعرف نفسه بعد عن سبيل النجاة، وخبط في الضلال والجهالات.

وفيه عنه عليه السلام قال: معرفة النفس أنفع المعارف.

وفيه عنه عليه السلام قال: نال الفوز الأكبر من ظفر بمعرفة النفس.

وفيه عنه عليه السلام قال: لا تجهل نفسك فإن الجاهل معرفة نفسه جاهل بكل شيء.

كما جمع منها ما استطاع مركز الشيخ ري شهري في كتاب «العلم والحكمة في الكتاب والسنة» ص ٩٦ و٢٨٨:

«عن أمير المؤمنين عليه السلام: أفضل الحكمة معرفة الإنسان نفسه ووقوفه عند قدره.

الإمام علي «عليه السلام»: المعرفة بالنفس أنفع المعرفتين.

عنه «عليه السلام»: أفضل المعرفة معرفة الإنسان نفسه.

عنه «عليه السلام»: أفضل الحكمة معرفة الإنسان نفسه ووقوفه عند قدره.

عنه «عليه السلام»: غاية المعرفة أن يعرف المرء نفسه.

عنه «عليه السلام»: معرفة النفس أنفع المعارف.

عنه «عليه السلام»: أفضل العقل معرفة الإنسان نفسه، فمن عرف نفسه عقل، ومن جهلها ضل.

عنه «عليه السلام»: كفى بالمرء معرفة أن يعرف نفسه.

عنه «عليه السلام»: من جهل نفسه كان بغير نفسه أجهل.

عنه «عليه السلام»: كيف يعرف غيره من يجهل نفسه!

عنه «عليه السلام»: لا تجهل نفسك، فإن الجاهل معرفة نفسه جاهل بكل شيء.

عنه «عليه السلام»: عجبت لمن ينشد ضالته وقد أضل نفسه فلا يطلبها!

عنه «عليه السلام»: كفى بالمرء جهلاً أن يجهل نفسه.

عنه «عليه السلام»: من لم يعرف نفسه بعد عن سبيل النجاة، وخبط في الضلال والجهالات.

عنه «عليه السلام»: أعظم الجهل جهل الإنسان أمر نفسه.

عنه «عليه السلام»: من عرف نفسه فهو لغيره أعرف.

عنه «عليه السلام»: من عرف نفسه فقد انتهى إلى غاية كل معرفة وعلم.

عنه «عليه السلام»: أكثر الناس معرفة لنفسه أخوفهم لربه.

عنه «عليه السلام»: عجبت لمن يجهل نفسه كيف يعرف ربه!

في صحف إدريس: من عرف الخلق عرف الخالق، ومن عرف الرزق عرف الرازق، ومن عرف نفسه عرف ربه.

الإمام الرضا «عليه السلام»: أفضل العقل معرفة الإنسان نفسه.

* لاحظ أنها كلها من غرر الحكم، الذي هو كتاب أعم من الحديث!

وهي عموماً مراسيل قصيرة، لم ترو في مصادرنا الأصلية، والأهم أن مصبها مكافحة العجب، وليس الدعوة إلى معرفة الله بمعرفة النفس، أو الإستغراق في الذات، كما يفعل بعضهم.

واقرأ قول صاحب الميزان رحمه الله ٥/ ٢٨٢: «وثانياً: أن جماعة من مشائخهم ذكروا أن طريقة معرفة النفس طريقة مبتدعة لم يذكرها مشرع الشريعة فيما شرعه إلا أنها طريقة مرضية ارتضاها الله سبحانه كما ارتضى الرهبانية المبتدعة بين النصارى قال تعالى: "ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها " « الحديد: ٢٧». وتلقاه الجمهور منهم بالقبول فأباح ذلك لهم أن يحدثوا للسلوك رسوما وآدابا لم تعهد في الشريعة، فلم تزل تبتدع سنة جديدة وتترك أخرى شرعية، حتى آل إلى أن صارت الشريعة في جانب، والطريقة في جانب، وآل بالطبع إلى انهماك المحرمات وترك الواجبات من شعائر الدين ورفع التكاليف، وظهور أمثال القلندرية ولم يبق من التصوف إلا التكدي واستعمال الأفيون والبنج وهو الفناء. والذي يقضى به في ذلك الكتاب والسنة - وهما يهديان إلى حكم العقل - هو أن القول بأن تحت ظواهر الشريعة حقائق هي باطنها حق، والقول بأن للانسان طريقًا إلى نيلها حق، ولكن الطريق إنما هو استعمال الظواهر الدينية على ما ينبغي من الاستعمال لا غير، وحاشا أن يكون هناك باطن لا يهدى إليه ظاهر، والظاهر عنوان الباطن وطريقه، وحاشا ان يكون هناك شئ آخر أقرب مما دل عليه شارع الدين غفل عنه أو تساهل في امره أو اضرب

عنه لوجه من الوجوه بالمرة وهو القائل عز من قائل: "ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء" «النحل: ٨٩» وبالجملة فهذه طرق ثلاثة في البحث عن الحقائق والكشف عنها: الظواهر الدينية وطريق البحث العقلي وطريق تصفية النفس، أخذ بكل منها طائفة من المسلمين على ما بين الطوائف الثلاث من التنازع والتدافع، وجمعهم في ذلك كزوايا المثلث كلما زدت في مقدار واحدة منها نقصت من الأخريين وبالعكس.

ولذلك رام جمع من العلماء بما عندهم من بضاعة العلم على اختلاف مشاربهم أن يوفقوا بين الظواهر الدينية و العرفان كابن العربي وعبد الرزاق الكاشاني وابن فهد والشهيد الثاني والفيض الكاشاني.

وآخرون أن يوفقوا بين الفلسفة والعرفان كأبى نصر الفارابي والشيخ السهروردي صاحب الاشراف والشيخ صائن الدين مُحَمَّد تركه، وآخرون أن يوفقوا بين الظواهر الدينية والفلسفة كالقاضي سعيد وغيره.

وآخرون أن يوفقوا بين الجميع كابن سينا في تفاسيره وكتبه وصدر المتألهين الشيرازي في كتبه ورسائله وعدة ممن تأخر عنه، ومع ذلك

كله فالاختلاف العريق على حاله لا تزيد كثرة المساعى في قطع أصله إلا شدة في التعرق، ولا في إخماد ناره إلا اشتعالاً».

- كتب "الرند العلوي":

أسألك يا شيخنا الكريم،

أولاً: من أي طريق يعرف الانسان النقص والامكان، والوجوب والكمال؟ هل هذا الطريق عقلي أو نفسي؟

ثانيًا: تفسيركم للحديث لو سلمنا به، فيوجد من التفسيرات العشرات ما يخالفه!

ثالثًا: كيف استدليتم على معرفة النفس بأن ذلك مكافحة العجب والغرور فقط، وما هي القرائن؟

رابعًا: أما أن النفس طريق عملي لمعرفة الرب سبحانه فهذه الروايات التي سقتها، فهي قد قبلها كثير من المتخصصين، والعلماء بقبول حسن، ولا يوجد حديث واحد فيه يفسر أن معرفة النفس هي مكافحة الغرور والعجب، بل هناك اطلاق؟

* قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» قالوا، الجهاد الأكبر قال صلى الله عليه وآله «مجاهدة العبد هواه».

* إن أعرابياً قام يوم صفين إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين أ تقول، أن الله واحد؟ فحمل الناس عليه وقالوا، يا أعرابي! أما ترى ما فيه أمير المؤمنين من تقسم القلب؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام، دعوه فإن الذي يريده الأعرابي هو الذي نريده من القوم!

لو تأملنا في قول الرسول صلى الله عليه وآله «الجهاد الأكبر» ثم أردفناه بقول أمير المؤمنين عليه السلام «الجهاد الاصغر» لعرفنا أن هناك درجات للتوحيد الله ومعرفته، عن طريق المجاهدة النفسية، أو من طريق التعلم والمعرفة الحصولية؟

خلاصة القول:

إن الحديث: «من عرف نفسه عرف ربه» يقيد بغيره، ويعرف بغيره من أقوالهم عليهم السلام، وكذلك إلى الآن لا أعرف من سماحة الشيخ لماذا يريد الانسان تزكية نفسه؟

هل للدخول الجنة، معانقة الحور، أكل الكثرى والرمان، أم هي لشيء آخر؟

وسئل عليه السلام عن العالم العلوي؟ فقال: ««صور عارية عن المواد عالية عن القوة والاستعداد، تجلى لها أفعاله، وخلق الانسان ذا نفس ناطقة إذا زكيها بالعلم والعمل فقد شابهت جواهر أوائل عللها، وإذا اعتدل مزاجها وفارقت الاضداد فقد شارك بها السبع الشداد»».

- فكتب "العاملي":

الأخ المحترم،

كأنك تقول إن هذه أحاديث صحيحة، فهل تعرف متخصصاً واحداً في الحديث صححها؟

ولو تأملت فيها لرأيت مصبها معرفة الإنسان نقص نفسها وإمكانها، ومكافحة العجب والغرور، أما التفسيرات الأخرى فائتنا بعالم من قدماء علمائنا إلى القرن الثامن فسرها بما تريد أو ما يسمونه مسلك التصوف أو العرفان، وأنها دعوة إلى التأمل في الذات للوصول إلى مقامات تشبه مستوى الأولياء والأنبياء عليهم السلام.

رأيي هو أن الذين أعجبوا بأفكار اليونانيين عن النفس، ارتضوا مقولة أن التدين ومعرفة الله تعالى لا تتم إلا عن طريق التعمق في النفس من أجل الوصول إلى الله تعالى، وهذا شأنهم ورأيهم محترم، لكن لماذا لم يكن ذلك معروفاً قبل القرن الثامن؟ فهل الماضين كانوا غافلين عن هذه الطريقة؟ وهل من خالفهم لم يصل ولا يصل إلى الله تعالى؟

هل يمكنك أن تحدد لنا طريقتك في المعرفة، وتثبت نسبتها إلى النبي والأئمة صلى الله عليهم، وهل تحتاج طريقتك إلى عارفٍ يكون إماماً ويكون المتعلم له مريداً، ويعمل بما يصل إليه عقله ولو لم يستند إلى أحاديث صحيحة، أم هي مفتوحة لكل إنسان عامي أو مثقف يطبقها بدون دروس؟

- كتب "الرند العلوي":

أقول: إن هذه الاحاديث نقلت في كثير من كتب العلماء المأمونين على الدين، والمتحرزين عليه، ومن هم أهل للتقوى والورع كمثال السيد الإمام والسيد الطباطبائي وغيرهم، وكذلك، لم يغب عنهم ما فيها مما تستظهره أنت، فعلم الحديث ليس مقصوراً

على اجتهاد نفر واحد أو اثنين، أو ما تقوله أنتم، فعلم الحديث لا يزال مفتوحًا، وهناك بحوث في هذه الأحاديث التي هي من نوع الغرر، والتي تتضمن المعارف العالية، نجد أن سندها مقطوع، أو بعض الأحيان مروية بدون سند، أو مرسلة، لماذا؟ هذا سؤال عليكم أن تتفكروا به!

لماذا الكثير من هذه الأحاديث ذات المضامين العالية أيضا نجدها مروية عن سلمان أو كميل أو هشام بن الحكم؟

هذا البحث لم يفت على هؤلاء الذين عرفوا المعارف الحقيقية لأهل البيت عليهم السلام؟

وموضوع الكتمان وإذاعة الأسرار مهم في هذا المجال، وقد أورد الشيخ الكليني بابًا في هذا المجال!

قولك: " ولو تأملت فيها لرأيت مصبها معرفة الإنسان نقص نفسها وإمكانها، ومكافحة العجب والغرور"

أقول: معظم الأحاديث ظاهرة ولا تحتاج إلى هذا التكلف، فلا أدري كيف فسرت: ««من عرف نفسه فقد عرف ربه » بمكافحة العجب والغرور!

وقولك: " فإئتنا بعالم من قدماء علمائنا إلى القرن الثامن فسرها بما تريد أو ما يسمونه مسلك التصوف أو العرفان، وأنها دعوة إلى التأمل في الذات للوصول إلى مقامات تشبه مستوى الأولياء والأنبياء عليهم السلام"

أقول: وهل الآراء الفقهية والأصولية في يومنا هذا لا بد وأن تطابق ما قبل القرن الثامن عشر، هل هذا الأمر معقول؟

أخي سماحة الشيخ، معارف أهل البيت عليهم السلام العالية تحتاج لوقت، نعم وجدت بعض الحالات في عهد الرسول صلى الله عليه وآله، والأئمة عليهم السلام، ولكن ليس كنظريات وعلوم حصولية، ولكنها موجودة واقعًا، كمثل قصة حنظلة، وأبو بصير، وغيرها كثير، وانظر لهذا الرواية الشريفة المروية عن الإمام السجاد عليه السلام:

««إن الله عز وجل علم أنه يكون في آخر الزمان أقوام متمعقون فأنزل الله قل هو الله أحد و الآيات من سورة الحديد»» [أي قوله: عليم بذات الصدور فمن رام وراء ذلك فقد هلك].

أخي سماحة الشيخ، من الممكن أن تكون لليونانين تأثيرات ولكن تأصيل هذه الأمور بحسب الموازين الشرعية موجودة في كتبهم، وهناك أحاديث كثر في المعارف القلبية، وغيرها واردة عنهم عليهم السلام،

وكذلك، ليس كل ما جاء به اليونانيين يجب رفضه، فليس لدينا هذا الأمر، وهناك موافقة للكثير من آرائهم، والرسول يقول: ««إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»»، أي أنه يوجد قبل الرسول هذه المكارم ولكنه صلى الله عليه وآله أتمها وأكملها.

شيخنا الكريم، أقول لك كما قال السيد الامام الخميني: ««طريقنا طريق الفقهاء»»، الموازين الشرعية، والرسالة العملية، وعلوم أهل البيت عليهم السلام الأصل في كل شيء، ولكن لو قرر أحد الصوفية والعرفاء الكبار كابن عربي ما يقوله أهل البيت عليهم السلام فليس لدي مانع في قبوله، وأنا لست منهم في شيء، ويمكنك أن تعتبرني أحد الجهال، ولكن يحب طريقة هؤلاء:

قال عطية كيف ونحن لم نصعد جبلاً، ولم نضرب بسيف ولم نطعن برمح، فقال جابر: سمعت رسول الله يقول: «من أحب عمل قوم أشرك في عملهم».

وطبعًا، هذه الأشياء ليست مفتوحة، ولكن التمني ليس ممنوعًا، وكرم أهل البيت عليهم السلام ليس مقطوعًا حتى عن الجهال أمثالنا.

- فكتب "العاملي":

الأخ الكريم،

أثرت لك عدة أسئلة منها سؤال محدد يثبت خطورة دعوة الناس إلى معرفة الله تعالى عن طريق معرفة النفس وهو: «هل يمكنك أن تحدد لنا طريقتك في المعرفة، وتثبت نسبتها إلى النبي والأئمة صلى الله عليهم، وهل تحتاج طريقتك إلى عارف يكون إماماً ويكون المتعلم له مريداً، ويعمل بما يصل إليه عقله ولو لم يستند إلى أحاديث صحيحة، أم هي مفتوحة لكل إنسان عامي أو مثقف يطبقها بدون دروس؟».

إن كلامنا في نقد الفكرة وتحليلها، وقد أجبتني عنها بأن سميت أشخاصًا، ومعناه أنك لا تملك الجواب، إلا التترس بأشخاص محترمين.. لا بأس.

- فكتب "الرند العلوي" تعليقًا:

سماحة الشيخ،

الإشكالية ليست هي دعوة من قبل أحد فالشارع المقدس هو الذي يدعو الناس، وهذه الروايات تخاطب كل الناس، ومن له القابلية فهذا هو الميدان. كما هو الحال في علم الفقه فهو يخاطب الناس جميعهم ولا يطبقه كلهم،

وثانيًا: موضوعنا يا سماحة الشيخ الجليل، ليس حول الاجابة الشخصية للرند العلوي، لأنه لا يمثل شيء، ولكنا نريد تقرير هذا الكلام من أقوال الأعلام، وخدام الشريعة الغراء، والذين هم على مستوى من العلم والفقه، ولمَ لا، هل الإمام الخميني قدس سره حينما نقل العرفان من الطوامير، والغرف المظلمة، كان جاهلاً بهذه الخطورة، نعم هناك أناس لا يتحملون، ولكن تكليفه الشرعي أن يوصل هذه الحقائق والمعارف لأهل البيت عليهم السلام إلى الناس، ولماذا حرمان الناس من هذه المعارف الحقة؟

أما الفقرة الأخيرة أخي سماحة الشيخ، فأي من المعارف التي لا يتترس بها الإنسان، لو راجعنا كتبكم المختلفة، لوجدنا التترس والتمترس واضحًا، فهذا جواهر التاريخ تتمترسون فيه بكتب التاريخ وأقوال علمائه، وهذا العقائد الاسلامية تتمترسون فيها بأقوال علماء

السنة، بل تلامذة ابن تيمية مثل ابن كثير وغيره، وكذلك أغلب الفقهاء الحاليين، فإنهم يرجحون الأقوال الموجودة لديهم، وليس لديهم رأي.

والمسألة الأخرى ليست في إبداء الرأي، وأني لا أملك جوابًا، وقد يكون كلامكم صحيحًا، بل نحن في معرض توضيح أهل الفن، وأهل التخصص، وأهل الأخلاق الكبار، وأهل العرفان العمالقة، ....، وهذا غاية في الموضوعية، وعدم ابداء الرأي أمام هؤلاء الكبار.

وخلاصة الأمر:

نحن في معرض تبيين ما فهمه كبار الفلاسفة والعرفاء والفقهاء في هذه الروايات الشريفة، وليس في إبداء الرأي، بل نريد عرض آرائهم وما يقولونه، وسلمت أيها الشيخ الجليل.

- فكتب "العاملي":

الأخ المحترم،

ليتك تترس بأقوال أشخاص بدل ذواتهم، وتذكر لنا قولاً علمياً لأحدهم يدعو فيه الناس إلى طريقة معرفة الله بالنفس.

يهمني أن أقدم لك ولأمثالك نصيحتي بأن الدعوة إلى معرفة الله تعالى بطريقة معرفة النفس، ودعوة العامة أو انتقاء الخاصة لها، ضياع في ضياع، وخيال في خيال .. بل أكثر.

فهذه الطريقة تزعم أن النفس تجليات الله تعالى، وبعضهم يقول لتلميذه حتى لو كان بوالاً على عقبيه إنه خليفة الله في أرضه، وإنه على مثال ربه، ويزعمون بلوغ مقامات الكمال والجمال والعشق والدهشة والفناء في الله تعالى .. ويزعم التلاميذ المعجبون بأن أستاذهم عنده علم كل ذلك وأنهم مريدوه يستمدون منه..إلخ.

هذه الطريقة نفس طريقة المتصوفة التي تغالي في شيوخها، وتتصيد المسلمين البسطاء لهم! إنهم قطاع طرق لصد الناس عن الأئمة الربانيين! وقد وقف في وجهها الأئمة صلوات الله عليهم، وليتك تقرأ مناقشاتهم لهم وأحاديثهم فيهم.

قد تقول: إن ما أدعو اليه من العرفان هو غير التصوف.

أقول لك: أما نظريًا فنعم، وأما عمليًا فدلني على واحد يدعو اليها أو يرضى أن تدعو إليها أو إليه باسمها! نعم يوجد أفراد من العارفين

لكنهم لا يدعون إلى هذه الطريقة ولا يرضون أن تدعو باسمهم ولا أن تترس بهم!

وهؤلاء ضائعون بين الزبد الكثير الذي يدعي العرفان ومعرفة الله تعالى كذباً أو ضلالاً وتضليلاً.

إنّ لي تجربة طويلة مع بعض هؤلاء بدأت من سنة ١٩٦٠ ميلادية، ودامت نحو سنتين، وقد شهدوا لي وقتها بأني بلغت مقامًا ورأيت مكاشفات، نعم رأيت مكاشفة في مسجد الكوفة يوم ١٥ رجب، وهنؤوني بها وفرحوا عني، لكني كنت مشغولاً في تفسيرها.

وقد بدأت فجيعتي بهم عندما رأيت بعضهم «غير متدين»! رأيته لا يلتزم بأحكام الله تعالى في أمور مالية واجتماعية، ثم رأيت أنهم «ذاتيون»!

فقد آذى شخص شخصاً منهم فرأيته ضارياً يريد الانتقام منه بأضعاف أضعاف ما آذاه به!وبالفعل انتقم منه وظلمه أي ظلم! فأي دين هذا وأي عرفان؟!

ورأيت بعضهم يتكلم عن عوالم القرب والفناء، ثم يكاد يقتل نفسه من أجل مال يحصل عليه!

ورأيت منهم من يتكلم عن جهاد النفس والزهد في الدنيا وحطامها وترويض النفس بالبلغة، ثم يأكل كالثور.. ويشرب كالبعير!

وهل سمعت بذلك «العارف لربه» عن طريق معرفة نفسه، الذي كان مستغرقاً في صلاته بين يدي ربه، فجاء من أخبره: لقد ألقينا القبض على فلان خصمه، فماذا نفعل به؟ فلم يقطع هذا العارف صلاته النافلة، بل أشار إليهم إشارة أن يذبحوه ففعلوا!

بالله عليك: كيف يمكن لهذا القاتل أن يكون عارفاً لربه ولنفسه وهو يحمل بين جنبيه نفساً انتقامية مغالية في الإنتقام؟! وهل عرفانه إلا لقلقة لسان، وفخ للدنيا؟!

وهل تظن أن القتلة في العرفانيين قليلون، وأنهم أحسن من غيرهم في غلبة الروح العدوانية الصدامية؟!

إياك أن تقبل أن فلاناً من أهل العرفان حتى يكون صاحب دين، فالتدين قبل العرفان!

ولا تقبل أن فلاناً ذائب في ولاية أهل البيت عليهم السلام حتى يكون صاحب دين، فالتدين قبل الولاية!

فما أكثر لقلقة اللسان والتنظير الطوبائي! فليكن مقياسك السلوك لا التنظير، والأفعال لا الأقوال.

- كتب "حسيني من الأصلاب":

أحسنتم شيخنا في تبيان منافق الحقيقة، الذي هو المنافق الأكبر، لكن ذلك لا يطعن في الصادقين، فكما أن منافق الشريعة «من علماء السوء، علماء السطان، وعلماء الأموال» لن يطعن في فقه أهل البيت عليهم السلام.

ويسمى فعلا بالمنافق الأكبر، لكن اكتشاف نفاقه أصعب من منافق الشريعة الذي يلهث خلف السلطان أو يلهث خلف المال، حفظ الله الصادقين بصدقهم.

سؤال لو سمحتم:"هل تتمنون أن تكون هذه المكاشفة مستديمة غير منقطعة، وما ترى سيكون رأيكم لو كانت مستديمة منذ سنة ١٩٦٠ حتى الآن كما هو لدى البعض؟".

- كتب "العاملي":

الأخ المحترم،

أنا لا أرفض أصل المكاشفات، أي الرؤية في حال اليقظة لعالم آخر أو أحداث ماضية أو آتية.

لكنها أنواع عديدة، فمنها ما يحصل بأمثال رياضة اليوغا ولا علاقة له بالدين، وإلى الآن أحتمل أن مكاشفتي كانت بعنصر تعليم الأستاذ العارف، وتطبيقي توجيهاته العبادية، فهذه لا تدل عندي على مقام ولا عطاء من الله تعالى لمؤمن، والمعتبر منها ما يأتي لصاحبه عطاءً إلهياً بدون سعي أو ادعاء.

إن أنواع المكاشفات كرؤية الوسيط في النوم المغناطيسي، فقد دققت في عدة حالات منه أجريت أمامي، ورأيت أن الوسيط يخلط بين ما في ذهنه وما في ذهن أستاذه وما بين الواقع *.

- فكتب "الرند العلوي" تعليقًا:

وهذا ما أردنا قوله، فامتثال أوامر الشريعة هو المقياس للسلوك، أما من يخالف الشريعة فهذا لا نتكلم عنه هنا.

* ويجب الاشارة إلى الفرق هنا بين ما هو خيال ووهم وشعوذة، وبين ما هو من العلوم الغريبة. وما هذه الرياضات التي يقومون بها والطقوس الخاصة إلا دليل على ذلك، يخلطون فيها شيء من ضعف القوة العاقلة مع بعض العلوم الغريبة ليلبسوا على عوام الناس حتى لا يفرقوا بينهم. [المعد]

الأمثلة التي سقتها - شيخنا الجليل - حول هؤلاء ليس لها علاقة بما يقوله أولياء الله، والعرفاء الحقيقيون، فهؤلاء أناس أقرب إلى الصوفية، والاستغلاليين، وطالبي المال والجاه.

يقول الملا صدرا في كتابه "كسر أصنام الجاهلية " في ذم الصوفية: «وأيم الله إنهم لا يعرفون من هذه المعاني إلا الأسامي ...والحال أنهم عند الله من الفجار المنافقين، والله يشهد أن المنافقين لكاذبون، وهم عند أهل الله وأرباب القلوب من الحمقاء المجانين، والأشقياء المردودين ... وذلك أن أحدًا منهم لم يكن له علم يترتب، ولا قلب يراقب، ولا عمل يهذب، ولا خلق يؤدب سوى اتباع الهوى والشيطان»، فهؤلاء ليسوا في محل كلامنا، لأن ذلك سيكون تشويهًا للعرفاء الحقيقيين.

أخي سماحة الشيخ العاملي المدافع عن المذهب الحق،

سأعود إلى ما كنا عليه سابقاً، وأنقل لكم كلاماً عن السيد الطباطبائي في رسالة الولاية ص٥٧، يقول: «ولقد سمعت بعض مشايخي وقد سئل عن طريق معرفة النفس: لمَ لم يبين شرعًا وهو أقرب الطرق إلى الله سبحانه؟

فقال مد ظله: وأي بيان في الشرع لا يروم هذا المقصد، ولا يشرح هذا الطريق».

وعليه، أريد أن أنطلق مع سماحة الشيخ الجليل العاملي، من قول السيد الطباطبائي، وأسأله:

وأي بيان لا يروم هذا المقصد، ولا يشرح هذا الطريق؟

- فكتب "العاملي":

الأخ المحترم،

معنى كلام أستاذ السيد الطباطبائي رحمهما الله أنه يرى الدعوة إلى معرفة الله تعالى بمعرفة النفس في كل الخطابات الشرعية، فهي رؤية ذاتية يرى بها كل خطابات الله تعالى لعباده.

لكن أسألك: أليس أقوى منها أن يقول الإنسان:

إن القدوة والإمام الذي به يُعرف الله تعالى، وبطريقته يقتدى، موجود في كل الخطابات الشرعية، وأولها التوحيد وذلك بتوحيد التلقي من الله تعالى وطاعته في الإمام الذي نصبه، وتوحيده في عدم

جعل إمام مقابله أياً كان، لا من زعماء قريش ولا من فلاسفة اليونان، وتوحيده في عدم اختراع طريق مقابل طريقه للمعرفة؟

فهل الأقوى لمن سألنا كيف أعرف الله تعالى؟

أن نقول له: إعرف نفسك،

أو نقول له: اعرف إمامك ودليلك إلى ربك.

ف"أي بيان لا يروم هذا المقصد، ولا يشرح هذا الطريق"؟! من أول آية في القرآن إلى ختامه، ومن أول حديث للنبي إلى ختامه؟

ثم ما رأيك في هذه الرؤية، ألا ترى البعد العلمي فيها أكثر من رؤية بلوغ معرفة الله ومقاماته بالتعمق بالنفس، التي هي ذاتية أكثر منها موضوعية؟!

ثم ما رأيك في ادعاء مقام الخلافة لله لكل أحد، وهل رأيت خليفة الله في أرضه العاصي بن العاصي القاتل بن القاتل؟!

فكتب "الرند العلوي":

سماحة الشيخ، سأعود إلى نقد تفسيركم لكلام السيد الطباطبائي بتوثيقات الطباطبائي نفسه وتلامذته، ولكن ... هذه المعرفة التي

تتحدث عنها معرفة يمكن أن أسميها معرفة دليلية وإرشادية، فهذه يمكن التعرف عليها من خلال أقوالهم عليهم السلام، وهي أقرب إلى المعرفة الذهنية، مجرد تصورات ذهنية، وفي بعض الحالات يمكن أن ترقى إلى شيء من التصديقات الذهنية، ولن تتجاوز المعرفة العقلية السطحية.

وكذلك، معرفة الإمام شرط واجب لأنه هو الدليل بقوله، وفعله، وتقريره، هذا مما لا شك فيه، ولا أحد يختلف في هذا الأمر، ولكن معرفة الإمام حق معرفته لا أتصور أنها تأتي من غير طريق النفس، لكون النفس الطريق الأقرب لله، فكيف بالإمام عليه السلام، ولكن معرفة الإمام الحقيقية لا يمكن أن تمر إلا من خلال معرفة النفس بتهذيبها وتخليصها.

هل تتفق معي يا سماحة الشيخ على أن أفضل العلم هو معرفة الله، وبعدها هو معرفة الإمام لأنه خليفة الله، ومن ينوب عنه، فمعرفته أي الإمام هو في الحقيقة معرفة ما ينوب عنه، فانظر إلى حضرة الإمام الصادق عليه أفضل صلوات المصلين ماذا يقول: «فإن أردت العلم فاطلب في نفسك حقيقة العبودية» بحار الأنوار ٧ / ٢٢٥.

فالمعرفة المثلى هي من خلال تهذيب النفس ومعرفتها.

ويقول مخاطبًا عنوان البصري : «ليس العلم بكثرة التعلم ، إنما هو نور ....».

وكذلك الرسول الأعظم: «من أخلص لله أربعين صباحًا إلا جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»».

وكذلك فإن احتجاب الإمام عليه السلام عنا نظرًا لكثرة ذنوبنا كما ورد في الروايات.

والخلاصة، في رأيي لن يَتعرّف على الأئمة عليهم السلام، ولا على أقوالهم، أو على كتاب الله بشكل صحيح ما لم يتعرف على نفسه أولاً، وهذا القرآن يقول: «هدى للمتقين» هو هدى للمتقين، أما الآخرين: «وما يزيد الظالمين إلا خسارا».

- كتب "العاملي":

الأخ المحترم،

لكي تلمس أن معرفة النفس لا يصح أن تكون طريقًا لمعرفة الله تعالى:

إذا سألني جاري: كيف أعرف الله تعالى ؟

أقول له: اعرف إمامك وقدوتك الذي تتعرف على ربك من قوله وفعله وتقريره، فعندما كلفنا الله بمعرفته جعل لنا قدوة وتجسيداً صحيحاً لمعرفته والتعامل معه والسلوك إليه.

يقول: ما معنى: إعرف نفسك تعرف ربك.

أقول: اعرف إمكان وجودك تعرف وجوب وجوده، واعرف محدوديتك ونقاط ضعفك تعرف كماله.

وإن قال لك جارك: كيف أعرف الله تعالى وأصل إلى مقامات الأولياء والعشق والدهشة والفناء .. إلخ ؟

تجيبه: اعرف نفسك تعرف ربك.

يقول: حدد لي معنى «اعرف نفسك»

إن قصدت اعرف روحك، فأنا لا أستطيع أن أعرف أذني وجلدي فكيف أعرف نفسي وروحي ؟

وإن قصدت: اعرف طاقاتها التي هي خمس كاميرات ومعمل هو العقل وغرائز ونوازع ..إلخ.

فهذه إن كانت ممكنة فهي تحتاج إلى تخصص، وأنا لا وقت عندي، ولا قدرة ذهنية.

وإن قصدت: أن أخصص وقتاً أتأمل فيه في نفسي فأخبرني كم يكون هذا الوقت نصف ساعة، عشرة دقائق؟ وكيف أفكر فيه وأتعمق في نفسي؟

هل أفكر في شهواتي في آمالي في تعقلي في عملية التفكير والإحساس، في علاقاتي وأقاربي؟ وهل ستكون أستاذي وتعطيني درساً لأفكر فيه كل يوم أو كل أسبوع ..؟ أم أن معرفة النفس مفتوحة وعلى الإنسان أن يفكر في نفسه ولو بالفوض ، فيصل إلى الله ويكون ولياً؟ إلى آخر أسئلة جارك التي لا تجد لها إجابة.

ماذا تصنع لجارك أيها الداعي إلى معرفة الله بمعرفة النفس؟

وهل تستطيع أن توجهه إلى معرفة الله عن طريق نفسه، بدون أن تجعل له إماماً من نفسك أو غيرك مقابل الإمام صلوات الله عليه؟!

- كتب "الرند العلوي":

أخي الكريم،

لا يتم السلوك إلا بمعرفة قوله، وفعله، وتقريره: فهذه هي الشريعة، والطريقة.

فأنت يا سماحة الشيخ، دليته على وسائل المعرفة، ولم تدله على المعرفة ذاتها، وهناك فرق بين المعرفة، ووسائلها؟ فما تتكلم عنه هو وسائل المعرفة. ولقد قلنا لكم أن معرفة الإمام ضرورية.

أما هذا الجار المسكين فلا أدري كيف ستكون طريقتكم معه؟ فهو في أغلب الظن يعرف الرسالة العملية، ودرس بعض كتب الأخلاق، ويعرف الإمام صاحب الزمان، ويمكن أن يجتهد، وبعد ذلك؟

ماذا بعد الاجتهاد، ومعرفة الإمام بهذا الشكل البسيط، وقوله، وفعله، وتقريره؟

مجرد معارف حصولية بإمكان حتى الأشرار دراستها، ومعرفتها، والتخصص فيها. وهذه ليست المعرفة المدعو إليها لا قرآنيًا، ولا من قبلهم عليهم السلام، وإلى الآن لم أعرف بالضبط، ما هو مفهوم المعرفة التي تدعون إليها؟ هل المعرفة بهذه الصورة التي تريد أن تلقنها إلى هذا الجار المسكين؟

ولقد ذكرت لكم بعض الروايات المهمة في تهذيب النفس وإصلاحها على أية حال.

- فكتب "العاملي":

الأخ المحترم،

الطريق الذي أدله عليه هو الذي دلنا عليه الله ورسوله وعترته صلوات الله عليهم، وهو الذي سلكه أصحاب النبي والأئمة وأجيال المؤمنين، وأنتج كل هذا الإنتاج في بناء الإنسان وتكامله.

فأخبرني على ماذا تدله أنت؟

كيف تحدد له الطريق والبرنامج العملي اليومي أو الاسبوعي أو السنوي ..؟

وما معنى جعلك معرفة النبي وعترته وسائل؟ وهل توجد وسائل في عرض هذه الوسائل؟

وما دمت لا تقبل هذه المعرفة، فحدد لنا المعرفة التي تدعو إليها، وبرنامجها؟

بدون اكتفاء بالألفاظ، أرجو أن تحدد لهذا الجار الطريق والوسائل والبرنامج والهدف.

أنا أدعي أن أصحاب الدعوة إلى التركيز على ذاته والتفكير فيها، لا يستطيعون ذلك، وأنهم لا برنامج لهم إلا الشيخ بدل الإمام، والفلسفات الهشة بدل الحديث المحكم، والخيال والإدعاءات الكبيرة الجوفاء، بدل التواضع والواقع.

- كتب "الرند العلوي":

أسألك: كيف يتعرف هذا الجار على الإمام، بأي طريق؟

هل بالمعرفة النقلية، أو العقلية، أو الحسية؟ تفضل حدد لنا هذه المعرفة.

أما قولك: " الطريق الذي أدله عليه هو الذي دلنا عليه الله ورسوله وعترته صلوات الله عليهم، وهو الذي سلكه أصحاب النبي والأئمة وأجيال المؤمنين، وأنتج كل هذا الإنتاج في بناء الإنسان وتكامله."

فأقول: ومن قال لكم أن الذين يجعلون النفس طريقًا، يريدون عكس ذلك؟ وهذه مجرد اختلاقات ذهنية من سماحتكم، لأننا لم نر

واحد من هؤلاء يقول بعكس هذا الكلام. أما القصص التي ذكرتها عن أؤلئك المنحرفين الذين يدعون العرفان، فقد قلنا لكم أن ذلك ليس محل الكلام، وهذه الاتهامات لا تجوز، فعلى الإنسان أن يتحرى ما يقولونه حتى ولو كانوا على خلاف منهجه.

- فكتب "العاملي":

الأخ المحترم،

أراك تجيب عن السؤال بسؤال، لا بأس.

إن كان شيعياً أثير له اعتقاده بإمامتهم الربانية صلوات الله عليهم، وأعرفه على مقاماتهم وسيرتهم، وأقول له: إقرأ عنهم وتفكر فيهم. فإن كان فيه خير فسيجد كنوزاً وعوالم من المعرفة واليقين تثير فيه أنواع المشاعر وأرقاها تجاههم، وبهذا يبدأ بمعايشتهم فكرياً وروحياً ويتعلم منهم كيف يعرف الله تعالى وكيف يعبده؟ وكيف يتعامل مع الناس ويتواضع وتكون نفسه منه في تعب والناس منه في راحة

وإلا.. فلا آمن عليه أن يفكر في نفسه ويستغرق في ذاته، ويتصور الله تعالى بتصورات لا يعرفها المؤمنون ولا أئمتهم، وقد يعرفها الوثنيون!

ويصاب بالغرور الفارغ حتى يزعم أنه في مقام القرب، ويتعامل مع الله تعاملاً ذاتياً على أنه خليفته وعبده المفضل على العالمين، ثم يدعي العصمة الجائزة التي اخترعها السنة لعمر فاستوردها أصحاب معرفة النفس لشيوخهم!

ثم.. يعدو على مقامات المعصومين صلوات الله عليهم فيسرقها لنفسه ومن يتبعه!

وهل تعرف قصة سرقات العصمة وصفات المعصومين ومقاماتهم في عصرنا، وقبله؟

وأنها أفظع السرقات عند الله تعالى وأخطرها على الإطلاق! وأن الله إن حشر أصحابها في طليعة السارقين مع غاصبي آل مُحَمَّد، فهم مستحقون، وإن أرسل زلزالاً فهدم دولة عقوبة لمن فعلها ولرضا الناس وسكوتهم عليها فهو قليل!

- كتب "الرند العلوي":

لقد قرأت كتابكم وخلاصة فكركم النور المبين، فماذا بعد؟ أثر في نفسي لمدة أسبوع مثلاً!

القراءة، والتعلم شيء ... ودرجة من المعرفة، لا بأس، صفة القراءة ارتبطت بذاتي، مجرد عمل ذهني!

هل هذه هو المعرفة؟ أليست المعرفة كما يقولون هي: التخلق والتعلق، والتحقق.

فهل في تعاليمكم هذه نوعًا مما ذكرته ؟

وهل تعتبر هؤلاء الذين يريدون السلوك قد تخلوا عن الكنوز، والأسرار، والمعارف التي جاء بها أهل البيت عليهم السلام، بل هم أبناء بجدتها، وقد فهموا أسرارهم، ولطائف كلامهم، وبطون نصوصهم بأرق المعاني، وأدق العبارات، وأنور الاشارات، وليتني أضع لك ما يقوله واحدٌ من ورثة الشيخ ابن عربي، وكيف يفسر قولاً لرسول لله أو للإمام علي عليه السلام لترى ما وصل إليه هؤلاء ولا زلنا بعيدا عن شعلة المصباح.

- فكتب "العاملي":

الحمد لله أنك كشفت إمام أصحاب المعرفة عندك .. ابن عربي!

المهرطق، الناصبي، الحلولي، المدعي مقام الأنبياء عليهم السلام، وكيف تتخذه إماماً وهو يرى الشيعة رافضة خنازير وأنت منهم؟

- كتب "الرند العلوي":

سماحة الشيخ العاملي حفظه الله،

١- أحب من سماحتكم أن تناقش بعيدًا عن هذا اللون من المناقشة.

٢- نحن في معرض مناقشة ولسنا في معرض تعدي على الأشخاص، ووصفهم بغير وجه حق، وحتى لو كانوا كما وصفت، وسبق أن قلت لكم ليس من المنهج أن ننظر فقط إلى السلبيات.

٤- قولكم: «الحمد لله أنك كشفت إمام أصحاب المعرفة عندك .. ابن عربي! المهرطق، الناصبي، الحلولي، المدعي مقام الأنبياء عليهم السلام، وكيف تتخذه إماماً وهو يرى الشيعة رافضة خنازير وأنت منهم؟»

فيه تحشيد جماهيري أكثر من علميته، واتهامات مبطنة، ورجم بالغيب أن كل من يرى في فكر ابن عربي شيء، فهذا مكشوف،

وضال، ومضل .. ليس هكذا، هذا الأسلوب لا يصلح في وقتنا الحالي ... فأرجو من سماحتكم في مقام الرفض أو القبول أن لا يتخذ هذا النوع.

٣- أما رابط الكتاب لسماحة السيد جعفر مرتضى العاملي حفظه الله تعالى، وهو كتاب «ابن عربي ليس شيعي» ولقد قرأت هذا الكتاب، ولي عليه عدة ملاحظات:

أ- هذا الكتاب غير علمي أو منهجي كما عبر عنه غير واحد من الباحثين، لأنه باختصار يستخرج مذهب ابن عربي من كتاب الفتوحات المكية الذي أجمع كلاً من السنة والشيعة بأنه كتاب محرف، وأعتقد أنه حفظه الله أخطأ في كتابه هذا خطأ منهجيًا، وعلميًا.

ب- نجد أن هذا المنهج الذي قلناه في الفقرة الأولى لاحق سماحة السيد حفظه الله في باقي كتابه، ورأينا أنه يتخفى في كثير من عباراته، وبشكل يدعو للتأمل.

جـ- هذا الكتاب مجرد تجميع لإشكاليات قديمة، أراد السيد جعفر مرتضى أن يدلل عليها، وحتى الإشكالات التي أتى بها ابن تيمية

وضعها في كتابه، فهو كتاب تجميعي أكثر منه كتاب إبداعي أو متميز.

د- سماحة السيد جعفر محقق تاريخي، وأهل الفن والتخصص في فكر ابن عربي يخالفونه في آرائه.

هـ- في رأي فكر ابن عربي، ليس مهمولاً لأصحاب التاريخ، والصحافين، أو بعض طلبة العلوم الدينية، أو ممن يسمون أنفسهم محققين، هذا الفكر يحتاج إلى أهل الفن، والتخصص!، أما في زماننا هذا حدثت سرقات كثيرة، وظن بعضهم أن هذا الكتاب كذا وكذا.

و- لا أعلم لماذا وضع هذا الكتاب في هذا الوقت؟ وأنني لأحسن النية بسماحة السيد جعفر العاملي، ولكن البعض أخذ هذا الأمر بحساسية، لأن هذه الأيام الاتهامات بالضلال، والتكفيرات، والدخول لكل إنسان موالي من باب العقائد واتهامه بأن فكره، وطريقته، ليست طريقة أهل البيت عليهم السلام، ثم ترتيب الفكر الوهابي على عباد الله، هذا الأمر ذو خطورة بالغة.

خلاصة الأمر:

إن فكر أهل البيت عليهم السلام ليس حكرًا على أحد، وليس له سدنة، فهو فكر عام لكل البشر والناس، كما هو الحال في رسالة جدهم الرسول صلى الله عليه وآله، فكيف يسمح البعض بمحاكمة عباد الله على أن هذا فكره يوناني، وهذا فكره لا يعتمد مذهب أهل البيت عليهم السلام، وهذا فكره منحرف، وهذا ضال .... نعم هناك ضوابط في فكر أهل البيت عليهم السلام لا يمكن تجاوزها، ولكن ليس بهذا الأسلوب والاتهامات.

ابن عربي وغيره من الناس يحق لهم التفكر، والشرح، وفهم أقوال أهل البيت عليهم السلام، وهذا الأمر ليس مقصورًا على أحد، لأن الله أعطاهم عقولاً. وباختصار، فابن عربي إذا لم يكن شيعيًا في الحد الأدنى، فهو محب لأهل البيت عليهم السلام، وفكره ومبانيه تتناسب مع ما يقولونه عليهم السلام.

وأنتم يا سماحة الشيخ اذهب مع السيد جعفر العاملي، ودع الناس الآخرين يذهبون مع ما يقوله السيد الامام والسيد الطباطبائي، لنختلف ونحن أخوة، وأحبة، وموالين، وأكثر تسامحًا، ولنتصف بمعاملة الرسول مع ذلك المجتمع المشرك الحلولي، الكافر ... إلخ.

أما قولكم المنفعل بأن ابن عربي ناصبي فهو دونه خرط القتاد، ويحتاج إلى دليل، وطبعًا، أنا لست مدافعًا عن ابن عربي في كل شيء، ولا أحد يدافع عنه بهذا الشكل كما أعتقد، ولكني لا أقبل شيء إلا بدليل.*

- كتب "العاملي":

الأخ المحترم،

شكراً لك على هدوئك، ولي مبررات برهانية على كل الصفات التي ذكرتها له، لكن قبلها:

* إن الدعاوى في هذا الرد كثيرة، ومعظمها غير مدلل عليه، وهو ما يتناقض مع عدم قبول شيء إلا بدليل، فإشكاله على كتاب السيد جعفر مرتضى – بغض النظر عن الموقف من هذا الكتاب – اكتفى بذكر أنه تجميع لإشكالات من غير متخصص، ولكننا لم نر ردًا علميًا مدللاً عليه يرد هذه الإشكالات الواردة؛ أو يشخص هذه الإشكاليات تحديدًا دون إطلاقيات عامة أو يبيّن ولو اجمالاً رداءة هذه الاشكالات على أقل تقدير. كما أن دعوى تحريف كتاب الفتوحات لابن عربي لم يدلل عليها رغم وجود محققين ينفون هذه الدعوى وهو ما لم يذكره بل ذكر إجماع السنة والشيعة، وكون معظم الاشكالات منه لا ينفي وجود اشكالات أخرى من كتبه الأخرى ككتاب الفصوص وغيره وهو ما تجاوز عنه كاتب الرد ولم يذكره. أخيرًا، دعوى أن فكر ومباني ابن عربي تتناسب مع فكر أهل البيت عليهم السلام فهي دعوى مرسلة بلا دليل سوى الاستحسان والذوق، هذا إن تجاوزنا خطأ وصف الإسلام النبوي بـ"فكر أهل البيت عليهم السلام"، ناهيك عن كون تناسب فكره مع فكرهم لا معنى له ما لم يثبت تشيعه، وهو أمر من الصعب إثباته، هذا باختصار، وكتعليق بسيط كان داعيه ما ورد في الرد من دعاوى [المعد]

١- أرجو أن تعطيني كلاماً للإمام الخميني والسيد الطباطبائي قدس سرهما، يقبلان فيه عقيدة ابن عربي، أو يمدحانه مدحاً يشمل عقيدته ومنهجه المزعوم في المعرفة ؟

٢- إذا كانت فتوحات ابن عربي التي تتضمن كفره وهرطقته، محرفة، فدلنا على كتاب ذكر فيه عقيدته.

٣- معنى كلامك أنت تخالف ابن عربي في بعض المسائل، هل تذكرها من فضلك ؟

- فكتب "الرند العلوي":

لا تقلق كثيرًا يا سماحة الشيخ الجليل، حفظك الله تعالى،

أولاً: لا أحد من العرفاء الذين نتحدث عنهم يقول أن لابن عربي «عقيدة» باستثناء ابن تيمية والسلفية إن كانوا عرفاء! فهم دائمًا ما يتحدثون في مللهم ونحلهم بهذه الطريقة، عقيدة الخميني مثلاً!

ثانيًا: ابن عربي له آراء، نظريات، وكذلك فكر، وقد انتقد فكره من قبل كثير من العرفاء.

ثالثًا: هؤلاء أخي سماحة الشيخ، لم يسلموا بأفكار ابن عربي تسليم الأعمى، أو الأصم، وتريدني أن آتي لك بقول يشمل جميع عقيدته، ومنهجه، ...، وهل ابن عربي من المعصومين في رأيكم ؟ كذلك، لا يوجد ما طلبته من المدح، والإطراء الذي يشمل جميع عقيدته لما قلته لسماحتكم قبلاً.

نعم، هناك مدح، وإشادة، واطراء كبير، وغيرها من قبل أهل الفن والتخصص! وهذا لا شك فيه ممن اطلع على أقوال أهل البيت عليهم السلام بشكل عميق، ثم أردفه بقراءة ابن عربي قدس سره، وهذا ما يقولونه.

سماحة الشيخ، أرى أن قلمكم المبارك يزل، وقد قلت لكم من قبل حتى ولو كان في رأيكم أنه كافر، فاجر، ولديكم الأدلة الساطعة، والأنوار اللامعة، فلا تطلق كلمة الكفر على أحد، فإن ذلك أمر عظيم، وعليكم أن تبتعدوا عن هذا اللون مما خاض فيه الوهابية، وكانت عاقبته إلى سوء! والاحتياط هو سبيل للنجاة!

أما تحريف الفتوحات لابن عربي فهذا ليس قولي، ومن يتحرى الموضوعية، ويكون باحثاً أميناً، ويطلع بموضوعية، وينطلق من البحث الحق، سيجد ذلك بسهولة.

- كتب "المتقي":

لعله من المفيد أن نستذكر قول الله تعالى في سورة القيامة {لا أقسم بيوم القيامة * ولا أقسم بالنفس اللوامة} وكذلك قوله تعالى في الحديث القدسي «عبدي أطعني تكن مثلي ..». ففي هاتين العبارتين مغزى عظيم لعلاقة النفس بالله تبارك وتعالى .. ليس المجال الآن للتطرق إليه، لكن المفيد منها لهذا الموضوع - موضع المناقشة - هو أن النفس يمكن أن ترتقي وتخرق الحجب ولكن عبر طريق خاص ومحدد من قبَل الله عز وجل، وهذا الطريق لا يمكن أن يدركه المرء دون رسالة سماوية تكون بمثابة دعوة للصعود والرقي بالنفس. ولو أمكن للنفس المجردة من القدرة والسير ذاتيًا لما كانت هناك حاجة إلى الرسل والأئمة لبيان الطريق إلى الله سبحانه وتعالى. لذا فإن النفس تبلغ في معرفة الله بمقدار ما عرفت الهاد إلى الله وأين هو من الله تعالى. وبعبارة أخرى «الأثر يدل على المؤثر فكلما ازداد الأثر كلما اقترب المؤثر».

وهنا انتقى النقاش وتحول للنقاش حول شخصيات أخرى كابن عربي والهروي وغيرهم بين الرند العلوي وأعضاء آخرين.

إشكاليّة الدعوة إلى معرفة الله تعالى

عن طريق معرفة النفس!

- كتب "العاملي":

ما ذكره صاحب الميزان رحمه الله من الطريقين لمعرفة الله تعالى: طريق النظر في الآفاق، وطريق النظر في الأنفس، مطلب شائع بين العرفانيين والمتصوفة، والظاهر أنهم أخذوه من قوله تعالى:

{سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق}

ولابد هنا من تسجيل الملاحظات التالية:

أولاً: وردت أحاديث شريفة في تفسير الآية المذكورة بأنها من علامات ظهور الإمام المهدي عليه السلام .. أو من الأحداث التي تظهر على يده، وأن المقصود بالآفاق : آفاق الأرض حيث «تنتقض الأطراف عليهم» أي على الجبارين قرب ظهوره عليه السلام.

ويؤيد ذلك سين الإستقبال في الآية التي تخبر عن حدث في المستقبل.

وإلا لقال: {ولقد أريناهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم} مثلاً.

أو قال: {أولم ينظروا في الآفاق}

كما قال تعالى: {أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض}

ثانياً: لا شك أن النظر في ملكوت السماوات والأرض، أي فيما يمكن للإنسان معرفته وفهمه وأخذ العبرة منه أمر محبوب شرعاً وموصل إلى معرفة الله تعالى وزيادة الإيمان به.

قال تعالى: {أو لم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شي وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون}.

ولكن نفس الإنسان جزء من هذا الملكوت وواحدة من هذه الآفاق وليست طريقاً في مقابل بقية الآفاق.

ثالثاً: لم أجد سنداً للحديث «المعرفة بالنفس أنفع المعرفتين» ومن البعيد أن يكون حديثاً شريفاً.

وعلى فرض صحته لا يصح تفسيره بما ذكره رحمه الله، فإن المقابل لمعرفة الله بالنفس معرفة الله بالله تعالى أو معرفة الله بأنبيائه وأوليائه أو معرفة الله بآياته غير النفس فمن أين جعل رحمه الله المعرفة التي تقابل معرفة النفس معرفة الآفاق وحصره المقابلة بها ثم إذا كانت المعرفة بالسير الآفاقي تشمل معرفة الله بالله تعالى

وبأوليائه صلوات الله عليهم فكيف يصح تفضيل معرفته عن طريق النفس على هذه المعرفة ؟!

رابعاً: بحث الفقهاء والمتكلمون الحد الأدنى الواجب من معرفة الله تعالى ولم يتعرضوا إلى طرقه ولم يفضلوا بعضها على بعض.

ومعرفة الله هي من صنعه تعالى في نفس الإنسان وألطافه به ولا صنع للإنسان فيها.

خامساً: لا شك في صحة ما ذكره رحمه الله من أن تزكية النفس وتهذيبها من الرذائل والشهوات والتعلق بحطام الدنيا ومتاعها مقدمة لازمة لتحقيق هدف الدين الذي هو عبادة الله تعالى.

قال تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} وقال تعالى: {هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم}.

ولكن الوارد في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة هو تزكية النفس وجهاد النفس ومخالفة النفس، وهي أمور عملية غير ما يطرحه المتصوفة والعرفاء من معرفة النفس، وإن كانت تزكية النفس تتوقف على قدر من معرفتها.

سادساً: لو سلمنا أن تزكية النفس ومخالفتها وجهادها هي نفس معرفة النفس التي طرحها المتصوفة والعرفاء ولكن الدعوة إلى معرفة الله تعالى وطاعته عن طريق معرفة النفس على إجمالها وإهمالها تتضمن مخاطر عديدة لا يمكن قبولها لأنها تتسع للضد والنقيض في الأساليب والأهداف والقدوات .. جميعاً.

فبعض الدعوات إلى معرفة الله تعالى عن طريق معرفة النفس تتبنى العزلة والرهبانية وبعضها يتبنى إصلاح النفس والمجتمع والحكم وبعضها يدعو إلى التقيد بأحكام الشريعة المقررة في هذا المذهب أو ذاك وبعضها يدعو إلى تقليد الأستاذ شيخ الطريقة أو أستاذ الأخلاق وما شابه دون الحاجة إلى أخذ أي مفهوم أو حكم شرعي من غيره!

وبعضها يدعي أنه يتصل بالله تعالى عن طريق المعرفة فيلهم العقائد والأحكام الشرعية، ولا يحتاج عند ذلك إلى شريعة! بل ولا إلى نبوة! وبعض الدعوات تجعل قدوتها في المعرفة بعض الصحابة أو الأولياء الذين لم يجعلهم الله تعالى ولا رسوله قدوة، بل قد يتخذ بعضهم قدوة من العرفاء والمتصوفة غير المسلمين إلى آخر ما هنالك من تعدد الأساليب والأهداف والقدوات، ولهذا ..

فإن من المشكل جداً أن ندعو الناس إلى معرفة الله تعالى عن طريق معرفة النفس ونقول لهم اقتدوا بأستاذكم حتى يصل أحدكم إلى الله تعالى فيصير أستاذاً مجتهداً!

فما أيسر أن يجلس الشيطان في هذا الطريق وينحرف بالإنسان!

سابعاً: بما أن حب الذات أقوى غرائز الإنسان على الإطلاق، فإن دعوة العوام بل وأكثر المتعلمين إلى سلوك طريق العرفان والتصوف بدون تحديد الوسائل والأهداف والقدوة يجعلهم في معرض الوقوع في عبادة الذات وتعظيمها فيتخيل أحدهم أنه وصل إلى الله تعالى وحصل على ارتباط به وصار صاحب أسرار إلهية ويزين له الشيطان العيش في عالم من نسيج الخيال وحب الذات وقد تظهر منه ادعاءات باطلة واتجاهات منحرفة، أعاذنا الله وجميع المؤمنين.

لذلك فإن الإئتمام في المعرفة وتعيين وسائلها وهدفها من أول ضرورياتها فالواجب التركيز على القدوة في معرفة النفس والسلوك، قبل الدعوة إلى سلوك طريق لا إمام له.

ثامناً: ما دامت معرفة النفس عند المتصوفة طريقاً إلى معرفة الله تعالى، ومعرفة الله تعالى طريقاً إلى عبادته، فالهدف المتفق عليه

عند الجميع هو عبادة الله سبحانه. وهذه العبادة التي هي غاية الخلق وطريق التكامل الإنساني الوحيد إنما تحصل بإطاعته سبحانه، وإطاعة رسوله صلى الله عليه وآله، وإطاعة أهل بيته عليهم السلام أولي الأمر الذين أمرنا الله ورسوله بإطاعتهم والإقتداء بهم، ولذلك فلابد في الدعوة إلى المعرفة والعرفان وتزكية النفس وتطهيرها وجهادها وغرس الفضائل فيها، وأن تتقيد بإطاعة الاحكام الشرعية كاملة وتتخذ من النبي وآله صلى الله عليه وعليهم قدوة وأئمة في المسلك والسلوك حتى تكون طريقاً صحيحاً في الحياة، موصلة إلى رضوان الله تعالى.

ولذلك أجاب أحد الفقهاء شخصاً سأله ما هو العرفان، وكيف يكون الانسان عارفاً.

فقال له: هذه الأحكام الشرعية التي تطبقها يومياً، فتصلي وتقوم بالواجبات وتترك المحرمات هي العرفان، وأنت بسلوكك هذا تمارس المعرفة.

ومن الطبيعي أن يكون ذلك السلوك على درجات ومراتب ومقامات، ولكنها تتحق من هذا الطريق الذي سلكه النبي وآله وتلامذتهم، لا من غيره.

اختراع المقامات*

* هذا الجزء نُشر في كتاب (السيرة النبوية برواية أهل البيت عليهم السلام) الجزء الثالث ص ١١٩–١٢٣.

روى القمي في تفسيره ٢٩٤/١:

‹تخلف عن رسول الله ﷺ قوم من أهل ثبات وبصائر لم يكن يلحقهم شك ولا ارتياب، ولكنهم قالوا: نلحق برسول الله، منهم أبو خيثمة وكان قويًا وكان له زوجتان وعريشان فكانتا زوجتاه قد رشتا عريشته، قال: لا والله ما هذا بإنصاف، رسول الله ﷺ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قد خرج في الضح [الصخ] والريح وقد حمل السلاح يجاهد في سبيل الله، وأبو خيثمة قوي قاعد في عريشه وامرأتين حسناوين، لا والله ما هذا بإنصاف.

ثم أخذ ناقته فشد عليها رحله فلحق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونظر الناس إلى راكب على الطريق فأخبروا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك.

فقال رسول الله ﷺ: كن أبا خيثمة فكان أبا خيثمة. أقبل فأخبر النبي ﷺ بما كان فجزّاه خيرًا ودعا له، وكان أبو ذر تخلف عن رسول الله ﷺ ثلاثة أيام، وذلك أن جمله كان أعجف فلحق بعد ثلاثة أيام ووقف عليه جمله في بعض الطريق فتركه، وحمل ثيابه على ظهره.

فلما ارتفع النهار نظر المسلمون إلى شخص مقبل، فقال رسول الله ﷺ: كن أبا ذر، فقالوا : هو أبو ذر. فقال رسول الله ﷺ أدركوه بالماء فإنه عطشان، فأدركوه بالماء ووافى أبو ذر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه أداوة فيها ماء.

فقال رسول الله ﷺ له : يا أبا ذر معك ماء وعطشت؟ فقال: نعم يا رسول الله بأبي أنت وأمي انتهيت إلى صخرة وعليها ماء السماء فذقته فإذا هو عذب بارد، فقلت لا أشربه حتى يشربه حبيبي رسول الله.

فقال رسول الله ﷺ له: يا أبا ذر رحمك الله تعيش وحدك، وتموت وحدك، وتبعث وحدك، وتدخل الجنة وحدك، يسعد بك قوم من العراق يتولون غسلك، وتجهيزك، ودفنك›.

• • •

فسّر بعضهم قول النبي الأكرم ﷺ (كن أبا ذر) بانه على نحو المعجزة، فهو إعمال للولاية التكوينية التي أعطاها الله لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال الشعراني الصةفي في الجواهر والدرر ١٢٣/٣ : ‹هل يعطى أحد من الاولياء التصرف بكن في هذه الدار؟ فقال: نعم بحكم الإرث

لرسول الله ﷺ فإنه تصرف بها في عدة مواطن منها قوله في غزوة تبول: كن أباذر. فكان أبا ذر›.

وقال ابن عربي الصوفي في الفتوحات المكية ١٢٦/٢: ‹جاء عن رسول الله ﷺ في غزة تبوك أنهم رأوا شخصًا فلم يعرفوه فقال رسول الله ﷺ: كن أبا ذر، فإذا هو أبو ذر، ولم يقل بسم الله فكانت كن منه كن الإلهية، فغنه قال الله تعالى فيمن أحبه حب النوافل كنت سمعه وبصره ولسانه الذي يتكلم به. وقد شهر الله لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بأنّ له نافلة بقوله تعالى {ومن الليل فتهجد به نافلة لك} فلا بد أن يكون سمعه الحق وبصره الحق وكلامه الحق، ولم يشهد بها لأحد من الخلق على التعيين. فعلامة من لم تستغرق فرائضه نوافله، وفضلت له نوافل أن يحبه الله تعالى هذه المحبة الخاصة، وجعل علامتها أن يكون الحق سمعهم وبصرهم ويدهم وجميع قواهم. ولهذا دعا رسول الله ﷺ أن يكون كله نورًا فغن الله نور السماوات والأرض. ولهذا تشير الحكماء بأن الغاية المطلوبة للعبد التشبه بالإله وتقول فيه الصوفية التخلق بالأسماء، فاختلفت العبارات وتوحد المعنى، ونحن نرغب إلى الله ونضرع أن لا يحجبنا في تخلقنا بالأسماء الإلهية عن عبوديتنا›.

وقال صدر المتألهين الشيرازي في الأسفار ٩/٨: ‹وإنا قد قدمنا إليكم يا إخواني في الطريق من انوار الحكم ولطائف الكلم مباديء عقليات وضوابط كليات وقوانين ميزانية واحكامًا ذهنية، هي مقدمات ذوات فضائل جمة ودرجات للمسير إلى الله بقدم الفكر والهمة، وهي معارج للإرتقاء إلى معرفة الإلهية والإعتلاء إلى شهود جمال الأحدية وصفاته الواجبية، ومجاورة المقدسين ومنادمة أهل الملكوت والعليين، من مقاصد أصحاب الوحي والتنزيل ومحكمات أسرار أهل التأويل، الآخذين علومهم عن الملائكة المقربين والحفظة الكرام الكاتبين ... فهذا العلم يجعل الإنسان ذا ملك كبير، لأنه الاكسير الاعظم الموجب للغنى الكلي والسعادة الكبرى، والبقاء على أفضل الأحوال، والتشبه بالخير الأقصى والتخلّق بأخلاق الله تعالى، ولذلك ورد في بعض الصحف المنزلة من الكتب السماوية أنه قال سبحانه: يا ابن آدم خلقتك للبقاء وانا حي لا أموت، أطعني فيما أمرتك وانته عمّا نهيتك أجعلك مثلي حيًا لا تموت ... فهذا مقام من المقامات التي يصل إليها الإنسان بالحكمة والعرفان وهو يسمى عند أهل التصوف بمقام كن، كما ينقل عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك أنه قال: كن أبا ذر. وله مقام فوق هذا يسمى بمقام الفناء في التوحيد، المشار إليه بقوله تعالى في الحديث القدسي: (فإذا أحببته

كنت سمعه الذي به يسمع وبصره الذي به يبصر ... الحديث). وسينكشف لك في هذا السفر بيان هذا المطلب بالبرهان ويلقى إليك معرفة العلم الذي من أجله يستوجب من علمه وعمل بموجبه تلك البهجة الكبرى والمنزلة العظمى، فافهم واغتنم به وكن به سعيدًا، ولا تلقه إلا إلى اهله العامل بمقتضاه وموجبه›

أقول: لا كلام في إمكان ان يكون النبي ﷺ قال للسوادة: كن أبا ذر، فكان على نحو الإعجاز. لكن الإشكال في زعمهم أن ذلك مقامٌ يمكنهم أن يبلغوه هم، ودعوتهم الناس أن يتبعوهم لكي يبلغوه!

ولم يكتفوا بذلك حتى اخترعوا مقامًا أعلى منه هو الفناء في التوحيد!

قال صدر المتألهين في الأسفار (١٨/٢) : ‹فإن المنازل اللائقة بالأولياء هذه، وكذا يترقون من الواحدية إلى الفناء في الاحدية، ويسافرون من الحق إلى الخلق›.

وقال في (١٨٣/٣) : ‹فالعشق الأكبر عشق الإله جل ذكره وهو لا يكون إلا للمتألهين الكاملين الذين حصل لهم الفناء الكلي. وهؤلاء هم المشار إليه في قوله تعالى {يحبهم ويحبونه} فإنه في الحقيقة ما يحب إلا نفسه لا غيره، فالمحب والمحبوب في الطرفين شيء واحد.

والأوسط عشق العلماء الناظرين في حقائق الموجودات لمتفكرين دائمًا في خلق السماوات والأرض كما في قوله تعالى: {الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه فقنا عذاب النار} وهو عذاب الفرقة والاحتجاب عن رؤية الآثار وجنة الأفعال.

والأصغر عشق الإنسان الصغير، لكونه أيضًا أنموذجًا مما في عالم الكبير كله والعالم كله كتاب الحق الجامع، وتصنيف الله الذي أبرز فيه كمالاته الذاتية ومعانيه الإلهية، وكتاب الإنسان مجموعة مختصرة، فيه آيات الكتاب المبين، فمن تأمل فيه وتدبر في آياته ومعانيه بنظر الاعتبار يسهل عليه مطالعة الكتاب الكبير يسهل معها العروج إلى مطالعة جمال الله وجلال أحديته، فيرى الكل منطويًا في كبريائه مضمحلاً تحت أشعة نوره وضيائه›

فهذا المذهب يدعي أولاً: أن مقامات الأنبياء والأئمة عليهم السلام ثمرة لسلوكية معينة.

ويدعي ثانيًا: أن باستطاعة الإنسان أن يصل إلى تلك المقامات!

ويدعي ثالثًا: لأئمته وأساتيذه مقامات شبيهة بمقامات المعصومين عليهم السلام[*].

ونلاحظ أنهم جعلوا عشق الإنسان من عشق الله تعالى أو مقدمة له لأن الله: (أبرز فيه كمالاته الذاتية ومعانيه الإلهية)! ولم يبينيوا من هو ذلك الإنسان، فإن قصدوا غير المعصوم فهو كلام باطل. ولا يتسع المجال لتفصيل هذه المطالب.

[*] يقول الشيخ د. أسد الله شكريان: "والولاية العامّة هي ولاية كلّ المؤمنين، حيث يسيرون نحو الحقّ تعالى بمقدار سعتهم الوجودية، وبأيّ مقدار ابتعدوا عمّا سوى الله فإنّهم يتقرَّبون إلى الحقّ، ويتحقّقون بالولاية.أمّا الولاية الخاصّة فإنّما تحصل للسالك بعد أن يطوي المنازل، ويكتسب المقامات اللازمة، وينقطع عمّا سوى الله، ويفنى في الحقّ تعالى. وحينئذٍ تكون ذاته وصفاته وأفعاله فانيةً في ذات وصفات وأفعال الحقّ." (الولاية في العرفان الإسلامي، نصوص معاصرة، ٢٠١٧/٥/٢٨) وعليه فليس للإنسان لكي يصل لمرتبة الإنسان الكامل إلا أن يطوي المنازل! [المعد]

خلاصة عن العرفان

- كتب "العاملي":

الإخوة الأعزاء،

قد يستفيد بعضكم مما أطرحه حول العرفان في مذهب أهل البيت صلوات الله عليهم وسيرتهم، لكن عملكم لا يتوقف على رأيي، لأن الواحد منكم عليه إن كان متديناً تديناً فقهياً، فهو يعمل بفتوى مرجع تقليده في الأحكام ومعالم دينه، وإن كان يعتقد بالعرفان المطروح والسلوك والمنازل، فهو مطيع طاعة عمياء «لشيخه» أو «مربيه»، وعادة يطيعه أكثر من مرجع تقليده!

نعم منكم هواة ومبتدئون قد يستفيدون مما أكتب.

الجو في الواحة لا يساعد على البحث العلمي والحوار، لأنه يوجد أشخاص متعصبون لغير المعصوم أكثر مما يتعصبون للمعصوم صلوات الله عليه، وسرعان ما يجعلون انتقادك لفكرة في العرفان أو لسند دعاء، انتقاداً للإمام الخميني أو للسيد الطباطبائي قدس سرهما، بينما يحفظ علماؤنا بعضهم، وعلينا أن نحرص على ذلك.

يمكنني أن أذكر لكم نقاطاً، في الموضوع:

١- أن العرفان المذكور متأثر بحسن نية بالصوفية الحشوية السنية صاحبة التلفيق والدجل، وبالفلسفة اليونانية صاحبة الخيالات والعنتريات والتزوير، والمنهج الذي يصد عن هدى الأنبياء والأئمة صلوات الله عليهم.

٢- أن الخيال والإدعاء في العرفان قد يزيد على خمس وتسعين في المئة، وأن من علامات الصادق أن لا يكون عنده ادعاء، ولا يدعو الناس إلى طريقته، لكنه إذا سئل أجاب، فاجعلوا الأصل فيما تسمعونه من العرفان أنه خيال أو كذب، حتى يثبت أنه واقع، وبتعبير أستاذنا الشهيد السيد الصدر قدس سره: إنما هؤلاء أصحاب لقلقلة اللسان.

٣- أن القرآن والسنة تحدثت عن درجات الإيمان والمؤمنين ومنازلهم، فسرقها المتصوفة وجعلوها دكاناً، فشيخ الطريقة أو أستاذ العرفان عنده سلم يدعو الناس إلى صعوده، حتى يصل إلى العروج بزعمه، وهو صاحب السلم وقيمه، وهو الذي يحدد للناس رتبتهم ومنازلهم ودرجاتهم فيه، وهو طبعاً في رأس السلم، بل قد يطير منه إلى السماوات!

بينما درجات الإيمان خفية، ولا تحصل بالانتماء إلى هؤلاء، بل تنتج عن المجموع الكلي لإيمان المؤمن وعمله، ثم هي متحركة، فقد يكون الإنسان الآن في منزلة، ثم يهبط بكلمة أو فعل أو لقمة حرام إلى الأسفل!

ثم يأخذ الله بيده فينهض مكسور الجناح، أو سالمه... إلخ.

٤ – لا فرق عندي بين حزب سياسي يطيع قائده ولو خالف رأيه رأي المرجع، أو مجموعة سالكين يطيعون أستاذهم ولو خالف رأيه رأي المرجع، فهم حزب ومتعصبون لحزبهم!

٥- أصحاب هذا العرفان لن يجدوا ما يستندون اليه في بناء «مذهبهم» من أحاديث النبي والأئمة صلوات الله عليهم، لذلك تراهم يتشبثون ببعض كلمات لم يصح سندها، وبأحاديث مزعومة بدون سند، رواها حشوية المتصوفة.

٦ - لتقريب عرفان الأئمة صلوات الله عليهم، وفرقه عن العرفان المسلكي، نمثل بشخص يلتزم بصلاة النوافل اليومية وصلاة الليل، فيحصل له نتيجة الرياضة من عبادته بدون قصد، وآخر يستعمل الرياضة والحركات سويدية ولعب الكرة والسباحة، ليحصل على

نتيجة الرياضة، فالأول يقول لك: صل النوافل تحصل لك نتيجة الرياضة بدون أن تقصدها، والثاني يقول لك: اقصد الرياضة بذاتها فهي وسيلة لتقوية بدنك. والمعصوم صلوات الله عليه والمرجع، يقولان لك: طبق الأحكام تكن عارفاً وتكن في المنزلة التي تتوفق إليها، والسلوكي يقول لك: تعال تعلم عندي وأطعني لأعلمك كيف تكون عارفاً وتصعد السلم، حتى تصل إلى العروج مثلي!

٧- العرفان الأكبر والأعمق في اعتقادي.. هو معرفة مقامات أهل البيت الطاهرين صلوات الله عليهم، ليس للوصول إليها كما يزعم الحشوية واليونانية، بل للعيش في أجوائهم الفكرية والروحية ومحبتهم، قدر المستطاع، وهو الذي يدعو اليه عدد من علمائنا، فيتهمهم المقصرة بالغلو!

- كتب "طالب المريدين":

السلام عليكم، ونشكركم مولانا العاملي

١ . ذكرتم رعاكم الله أن ترك المحرم وفعل الواجب والابتعاد عن المشتبه كاف لدخول الجنة ولكن أليس باب المعرفة غاية هامة جدًا للإنسان ؟

فأنا غير مقتنع بأن الإنسان لا يطمح في زيادة معرفته بالله وأهل البيت ومقاماتهم ولذا سألتك عن الحديث المعتبر

اللهم عرفني نفسك.

يعني المعرفة مع الامتثال هي الغاية حتمًا ومن حق الإنسان أن يطمح إلى المزيد وواضح أن مقام الإنسان يعتمد على زيادة معرفته بالتوحيد ومراتبه وأهل البيت عليهم السلام، وسؤالي هو حين اقرأ الزيارة الجامعة أو مناجاة شعبان فهما ينبغي أن يحققا رقي في المعرفة مولانا ثم تكون قيمة العمل أكبر.

٢. ذكرتم مولانا عليكم بسادة العارفين وسألتك عن السيد القاضي والسيد العلامة رحمها الله، فكيف نستفيد منهما علمًا إن كان رجوعنا لهما ليس تقليدًا وهو العمل بفتوى المرجع وإنما في زيادة المعرفة في المعارف الربانية وعن أهل البيت عليهم السلام فلا تناقض في الموضوع يعني المرجع لا ينهى عن الاستفادة من المعارف الربانية والترقي فيها.

وقد زار آية الله العظمى السيد الخوئي بنفسه في قضية معروفة السيد علي القاضي بل استفاد منه فلا أرى تناقضًا في ذلك ولا يسمى رجوعي مثلاً للسيد العلامة تقليدًا إلا لقولكم أنهم من كبار العلماء .

فنرجو التوضيح أكثر رعاكم الله.

- فأجابه "العاملي":

المحترم طالب المريدين،

لا تستهن بفعل الواجبات وترك المحرمات والشبهات، فإنه مقام عظيم، ومن جعله هدفه واستطاع تحقيقه، فهو من أولياء الله الكبار، ولا تحصل المعرفة الحقيقية إلا به، وكم من مدع للعرفان ليس له منه إلا لقلقة اللسان، لأنه لا يفقه ما يجب عليه وما يحرم وما هو مشتبه، وإذا عرف لا يطبق لأنه يريد أن «يحلق» في العرفان!

إن أول خطوة لك أن تفحص سلوكك وهدفك، عقيدتك، وقولك وفعلك، وبرنامج عملك، وهدفك من حياتك، إنه الشرط الاساس لحصول المعرفة الحقيقية ونموها. والذي يطمع بمزيد من المعرفة ليصل إلى مراتب عالية بزعمه، وهو راسب في عقيدته وفي التدين

الفقاهتي، فهو كمن لطّخ نفسه بالوحل وجلس في حظيرة، وهو يتكلم عن أفخر الملابس وأنظف الأماكن!

سميت المرحوم السيد القاضي والسيد الطباطبائي بسادة العارفين، وذلك إليك رحمهما الله فهما من علمائنا الكبار، وأفكارهما قابلة للنقاش، وأذكر أني ناقشت المرحوم السيد الطباطبائي في سنة ١٩٧٢ ميلادية، يوم كان ينتقده أنصار الإمام الخميني قدس سره، وحركته، فكان يرى أن التيار الوهابي فيهم قوي، وكان يخاف على إيران من ذلك.

أما زيارة السيد الخوئي قدس سره للسيد القاضي فهي طبيعية، بحكم كونه قادمًا إلى النجف وأنه أكبر منه سناً، أما أنه استفاد منه، فهو أمر ممكن لكنه لا يدل على أنه يتبنى منهجه ومقولاته في العرفان.

لا أعرف ماذا تقصد برجوعك للعلامة والقاضي رحمهما الله، استفد في جهاد نفسك وتنميتها ممن شئت، في إطار اتباعك لفتاوى مرجع تقليدك،ومن المهم أن تبتعد عن الشخص أو الفكرة التي تغرك بنفسك، فتصور لك أنك صرت عارفاً وصرت في الدرجة الفلانية، فتدخل في باب الغرور الضار والتكبر الفارغ، واحذر من المتصيدين

باسم العرفان، فكثير منهم خوارج، أحدهم جبار يرى نفسه فوق الناس، ويتصيد ساذجين، فهذا النوع عندي كالسلفي الذي يتصيد حيوانات لكي يفخخها، بدون فرق!

أشفقت عليك لشعارك أن يجعلك الله من أهل الجذب، أي جذب هذا، وإلى ماذا، ومن يعلمك الجذب؟ إنها لغة غريبة عن لغة المعصومين صلوات الله عليهم*، وكبار تلاميذهم وشيعتهم عبر العصور، وهي لغة خداعة لأنها تغير التعبير الطبيعي في المودة

* يقول العلامة المجلسي – قدس سره –، عين الحياة، ج١، ص ٣٩٤-٣٩٥: ‹.. أ فلا تفكر أن نفسك متى صارت هكذا راغبة للخيرات؟ ولماذا لم تهتمّ في الخيرات الأخرى؟ فلا تترك الانصاف، انّك تترك حوالي ألف حديث عن أهل بيت الرسالة عليهم السلام في فضائل ليلة الجمعة يومها – كما ألّف ابن طاووس رحمه الله كتابًا في هذا الخصوص – ولهذه الادعية والأعمال آلاف الطرق للقرب إلى الله، فلا تنظر إليها وتقضي تلك الليلة ويومها في شيء أجمع علماء العصر على حرمته، وأنت تعترف أنّ الله لم يامر به، فما عذرك يوم القيامة؟ وبأيّ حجة تنتظر الثواب؟

وتضمّ أيضًا إلى تعقيب الصلاة – المسنون أصله – بدعًا أخر وكانك لا تريد أن يخرج منك عمل خالص فتستحق عليه الثواب، نعوذ بالله! وقد ورد عن طريق أهل البيت عليهم السلام حوالي مائة ألف بيتًا من المناجات والادعية والأذكار والاوراد، فتتركها جمعاء وتقرا بدلها اورادًا قبيحة لا معنى لها ومضطربة إعرابًا.

أ فهل هؤلاء الجهال يعلمون الأذكار والمناجات مع الله أحسن وأكثر من أئمة الدين، وصفوة رب العالمين، وأفصح فصحاء العالمين. إنّ الانبياء كانوا يتمنون متابعتهم وأن يكونوا من شيعتهم، فانت تحسب متابعتهم عارًا، وتلجأ إلى تلك الاوراد وتقراها بالصوت الحسن، ولعلّها غناءً ومحرمة.

ونُقل أن رجلاً جاء إلى الإمام الصادق عليه السلام فقال له: جعلت فداك إنّي اخترعت دعاء، قال: دعني من اختراعك. [فنهاه الإمام عليه السلام عن ذلك وعلّمه دعاء وأمره أن يدعو به]›.

والحب والولاية والنصرة.. إلخ. إلى لغة صوفية يقصد منها أن يكون الشيخ أستاذ «الجذب» مرجعاً للمسكين «المجذوب»!

وكنت رأيت فقرة «واسلك بي مسلك أهل الجذب» في أواخر دعاء عرفة للإمام الحسين صلوات الله عليه، حسب رواية لا أعرف من صحح سندها*، فإن صحح سند تعبير الجذب في هذا الدعاء أو في غيره مرجع تقليدك، فلا بد أن يكون بمعناه اللغوي، وأن الله تعالى يجر العبد إلى طاعته وحبه، أو يجره ليبعده عن معصيته.

والمشكلة في مقام أهل الجذب الذي يدعي المتصوفة أنهم يصلون إليه، أو يوصلون إليه الشخص فيصير «مجذوب الله» فهو معه دائماً مهما فعل، كأن عنده مغناطيس يجذبه دائماً، وهو مقام عصمة يدعونه لبعضهم مهما فعل، ومن أئمة المجذوبين ابن الفارض الذي كان يسير في القاهرة عارياً تماماً، لأنه ولي الله ومجذوب الله!

* وقد أشار العلامة المجلسي إلى أنّ الزيادة المذكورة في دعاء عرفة ليست منه كما يظهر من عبارته في البحار، ج ٩٥، ص ٢٢٧: "..وعبارات هذه الورقة لا تلائم سياق أدعية السادة المعصومين أيضًا إنما هي على مذاق الصوفية ولذلك قد مال بعض الأفاضل إلى كون هذه الورقة من مزيدات بعض مشايخ الصوفية ومن إلحاقاته وادخالاته" وهناك من يخالف العلامة المجلسي ويثبتها، والأمر بين أخذ ورد علميين، وبغض النظر عن البحث في اثبات ورود هذه العبارات فإنها أعمّ من الدعوى المذكورة بخصوصها. [المعد]

- كتب "ابن بيروت":

بناءًا على كلامك أعلاه نلغي أموراً كثيرة منها :

١/ المقطع من الدعاء الذي يقرأ في قنوت صلاة العيد والذي يقول:

" اللهم أدخلني في كل خير أدخلت فيه مُحَمَّداً وآل مُحَمَّد وأخرجني من كل سوء أخرجت منه مُحَمَّد وآل مُحَمَّد " لأن الداعي يطلب كل خير أعطاه الله للنبي مُحَمَّد وأهل بيته عليهم السلام ... ومن ضمن ذلك الخير هو كمال الانقطاع الله تعالى.

٢ / أيضاً نلغي المقطع من الدعاء الذي يقرأ بعد كل فريضة من شهر رجب المرجب والذي يقول: " يامن أرجوه لكل خير ..... اعطني بمسألتي إياك جميع خير الدنيا وجميع خير الآخرة ... "

لأن الداعي يسأل الله جميع خيرات الدنيا وكمال الانقطاع إليه في هذه الدنيا لا شك أنه من أعظم الخيرات.

٣ / وأيضاً نلغي المطقع من دعاء يوم الجمعة والذي يقول :

" اللهم إني أسألك من كل خير أحاط به علمك وأعوذ بك من كل شر أحاط به علمك "

لأن الداعي يسأل الله كل خير ومن ضمن ما يسأله الداعي الخيرات التى أعطيت لمحمد وآل مُحَمَّد بما في ذلك الانقطاع إلى الله كمال الانقطاع وبلا شك فإن هذا من الخير الذي أحاط به علم الله ...

- فكتب "العاملي":

ليس كلامي في جواز قراءة أمثال هذه الفقرات، فلا مانع من قراءتها أبداً بل الكلام في تفسيرها، والذي أقصده لزوم حملها على معناها اللغوي من ناحية، وليس على معناها الذي يدعيه المتصوفة ويغشون به الناس، ومن ناحية أخرى أقصد أن مقامات المؤمنين تبقى نسبية مناسبة لمستواهم، عند المقارنة بمقامات المعصومين الشامخة السماوية صلوات الله عليهم.

وفقك الله وهداك إلى ما يحب.*

* كتب **ضفاف** في نفس اليوم تعليقاً مهمًا جاء فيه: «إن حقانية أي منهج «عرفاني أو غيره» متى استطاع أحد ما أن يثبت بطريقة شرعية وروده عن أهل البيت عليهم السلام لا يناقشها ولا يعترض عليها أحد من الموالين.. ولكن المطلوب ليس فقط اثبات عناوين عامة تشير إلى وجود المنهج لديهم عليهم السلام بل كشف كل تفاصيل المنهج من قبلهم هم أنفسهم عليهم السلام لا غيرهم.

ولذلك فإنه من التكلف الذي لا يعذر عليه أي باحث –مهما كانت نيته– ما دامت يده لم تصل إلى تفاصيل المنهج العرفاني الذي ينسبه إليهم عليهم السلام «وذلك من خلال رواياتهم التي لا تتعارض مع القرآن الكريم» أن يقوم بالتنظير فيه من خلال تبني أقوال غيرهم أيا كانوا.. =

= فالواجب عليه في هذا الحال الكف عن انتحال الفكرة أو الأفكار العامة التي يراها في الروايات والأدعية «بغض النظر الآن عن ثبات أو لا ثبات صدورها عنهم عليهم السلام» ومحاولة ملء الشواغر بتفاصيل وتنظيرات لم ترد عنهم في نص شرعي ومن خلال أي مصدر آخر مهما كان.

كما أرى أن من المفيد أن يتم التركيز على تنبيه أخونا طالب المريدين – ومن يسير وفق منهجه الانتقائي في الجمع بين كلام أهل البيت عليهم السلام العرفاني وبين آراء رجال آخرين وبدون دليل قطعي على استناد آراءهم التفصيلية على روايات أهل البيت عليهم السلام – وعبر الاستشهاد بالشواهد الشرعية أن هذا الأسلوب خطير ولا يبعد قيد أنملة عن أسلوب الشيطان وأتباعه في حرف عقائد المؤمنين على مر الزمان..

فأولئك متخصصون بالتصيد في الفراغ «أو المسكوت عنه بعمد بغرض الفتنة والابتلاء أو غيره» لشغله بما لا أصل شرعي ثابت له وذلك لحرف الأفكار السليمة عبر ادخال عناصر ذاتية في منهج موضوعي أصيل رغم أن الله تعالى وأولياءه المعصومين عليهم السلام قد حذروا من تكلف ما لم يرد أو لم يصل إلى أيدينا فيه حكما وتفصيلا من عندهم..» ثم كتب استدراكًا:

«لم أنكر ولم أناقش فيها صحة صدور الأدعية والمناجات المنسوبة لهم عليهم السلام، ولم أشكك في وجود منهج عرفاني لأهل البيت عليهم السلام، كما لم أنفي أن عباراتهم التي اقتبستم بعضها من الأدعية والمناجات تدل على هذا المنهج، بل وأكدت على فهمكم بأنها تشير لمنهج عرفاني، ولكني نبهت أنها عناوين عامة تحتاج لمزيد من البحث في نظام كلامهم البديع لادراك تفاصيله لا الانطلاق منها أو عبرها لرسم منهج تفصيلي ذاتي ثم نسبه إليهم عليهم السلام، وعلى هذا فأرجو التفريق بين موقفي وموقف غيري ..

فلست ممن يقبل بانكار أو تضعيف أي حديث أو دعاء نسب إليهم بذريعة ما يسمى بعلم السند أو الرجال!

بل وأعوذ بالله تعالى من الجرأة في الرد عليهم بنفي أي حديث منسوب إليهم سواء كان ذلك لعدم ثبات سنده عندي أو عند غيري (أيا كان) أو لعدم احاطتي وجهلي بمعانيه، فما من سبيل عندي لرفض أو انكار أي حديث أو دعاء منسوب إليهم عليهم السلام إلا التعارض الصريح الذي لا تأويل فيه مع محكم القرآن، وهذا الموقف يستند على قاعدة منطقية وشرعية ثابتة من خلال كلامهم الشريف المحكم، فالقرآن هو الحاكم على كل كلام دونه كما الله تعالى حاكم على كل خلقه، وليس من حاكم على كلامهم عليهم السلام إلا القرآن الذي يعلو كلامهم، ولا يصح للرجال دونهم مهما بلغت درجتهم أن يحكموا على كلامهم الشريف إنكارا أو تضعيفًا، كما لا يصح حكم الرجال على مواقفهم عليهم السلام بالتصحيح أو الإنكار! =

= إذن محور مناقشتي واعتراضي على كلامك كانت هي استدلالك بالاشارات التي تدل عليها عباراتهم في الأدعية (التي أؤمن بصدورها عنهم عليهم السلام) على منهج (تسمونه عرفان أهل البيت عليهم السلام) بينما أنت تأخذ بتفاصيله من رجال غير معصومين (أيا كانت درجتهم العلمية)، مع أنه من الواضح أنك لا تعرف كيف تنسب التفصيل الذي يوردونه في منهجهم لأهل البيت عليهم السلام. وهنا مربط الفرس!

والتأمل في كل هذا القول يدل على أنني لا أشكك بأن كل الرجال الذين تستشهد بهم كعرفانيين على منهج أهل البيت عليهم السلام ليس فيهم ولو واحدًا توصل فعلاً لتفاصيل المنهج العرفاني لأهل البيت عليهم السلام من خلال كلامهم عليهم السلام وقام باتباعه وتذوق أحواله هو شخصيًا كما وصفوه عليهم السلام، ولا أنفي أن يقوم أحدهم بنقل ما توصل إليه من كلامهم عليهم السلام لك أو لغيرك بحسب تشخيصه لتكليفه، ولكني أجزم أنه إذا كان عرفانيًا بحق على منهج أهل البيت عليهم السلام فلابد له إذ يفعل أن يثبت بحجة بينة وواضحة كيف توصل لهذا المنهج عبر ذكر كلامهم عليهم السلام لا عناوينًا فقط بل وتفصيلاً أيضًا، فإن لم يقدر على ذلك –لأي سبب– فعليه أن لا يتعدى نفسه في تطبيق ما توصل إليه!

أجزم بهذا لأن من يقوم بالدعوة من غير دليل وحجة منهم ومن كلامهم عليهم السلام فهو ليس إلا داع لنفسه ولمنهجه الذاتي لا إليهم ولا إلى منهجهم عليهم السلام، وكل داع لنفسه ولأي اطروحة ذاتية مدع، منتحل، مفتر وكذاب وهذا ما نبهتك إليه ليس إلا!

إذن فاتباعك أنت لأي منهج عرفاني يدعوك إليه رجل غير معصوم ولكنه مهتد بالحق (إن وجد) لا يصح إلا على قاعدة أنك تعرف يقينًا أن المنهج الذي يدعوك إليه هو منهج أهل البيت عليهم السلام عنوانًا وتفصيلاً لا لتوهمك بوثاقته من غير دليل وحجة شرعية مبرئة للذمة، هذه هي دعوتي وتحذيري وتنبيهي بكل وضوح.

وعسى أن يكون الأمر أكثر جلاء الآن أخي العزيز..

فإن كنت تحسب أنك متبع لهكذا منهج عن أهل البيت عليهم السلام فلا تحتاج أن تذكر لنا أسماء رجال تكلموا فيه أيا كانوا بل يكفينا أن تهدينا لتفاصيل هذا المنهج الذي يستند تمامًا على كلامهم عليهم السلام وستجدنا معك في اتباعه، وإن لم يكن لديك مثل هذا فعليك بالحذر والكف عن تكلف ما لم يصلك من علم حتى يهديك الله تعالى لمثله ونحن مثلك في انتظار!»

- كتب "ابن بيروت":

أما بالنسبة للشبهات فأعني بها الشبهات المتعلقة بالأدعية المنسوبة لأهل البيت عليهم السلام والتى نرى من يشكك بها ويقول بأنها لم تسلم من إضافات بعض المتصوفة.. فلم يسلم لا دعاء الصباح ولا المناجاة الشعبانية ولا دعاء عرفة «وربما المناجيات الـ ١٥» من هذه التشكيكات؟

- فكتب "العاملي":

إذا قال أحد.. لا بأس بقراءة دعاء الصباح والمناجاة الشعبانية والمناجاة الخمسة عشر، لكن بنية الدعاء المطلق والذكر المطلق، لا بنية الصدور عن المعصوم صلوات الله عليه، لأني متوقف في سندها وبعض مضامينها، فهذا الشخص يسمونه محتاطاً في نسبتها إلى المعصوم، ولايسمونه مشككًا!

لأنه وافق مراجع الشيعة في توقفهم في نسبتها، بل بعضهم يحكم بعدم صحتها، فأتني بمرجع واحد من مراجع الشيعة أفتى بصحة سندها!

إن التشكيك يكون في الشيء الذي أثبته مشهور الفقهاء أو عدد منهم، والتشكيك يقال فيمن يثني الناس عن المستحب، لا في من يبين وجه الاستحباب الصحيح برأيه.

- وكتب "العاملي":

دعوة الناس الى معرفة الله تعالى عن طريق معرفة النفس، باعتباره الطريق الوحيد، أو أفضل الطرق.

يعني أن نجيب من سألنا كيف أعرف الله تعالى؟ فنقول له: الطريق هو أن تعرف نفسك، وهذه الطريقة لو كانت في سنة النبي وآله صلى الله عليهم لوجدنا فيها أحاديث كثيرة، والإشكال عليها:

أنها توجه الجماهير والخاصة نحو عالم الذات، وتوهم الناس أنهم يستطيعون معرفة أنفسهم، وأن معرفة كل منهم طريق صحيح الى الله تعالى .. الخ. وفي ذلك أخطار كبيرة على المعرفة وعلى الناس وعلى الدين.

أعطونا حديثاً واحداً يوجه الناس إلى معرفة الله عن طريق معرفة النفس.. إنه لا يوجد، ومحال أن يوجد، لأن معناه إلغاء دور

المعصوم القدوة، أو جعله دوراً مكملاً، وجعل تعمق الناس في ذواتهم معرفة صحيحة!

والصحيح أن معرفة الله تعالى مفتاحها ليس التعمق في الظنون، والتهويم في الذات، بل الإهتداء والإقتداء بالمعصوم صلوات الله عليه، وهي عطاء من الله تعالى يمنحه بقدر ما يشاء لمن يقتدي بهم صلوات الله عليهم، أما معرفة من لا يهتدي بمعرفتهم ولا يتقيد بها، فهو خيال معرفة، وليس معرفة.

في الكافي ١٨/١، الحديث الصحيح عن الإمام الباقر عليه السلام:

«إنما يعرف الله عز وجل ويعبده من عرف الله وعرف إمامه منا أهل البيت ومن لا يعرف الله عز وجل و لا يعرف الإمام منا أهل البيت فإنما يعرف ويعبد غير الله، هكذا والله ضلالاً»

- ثم كتب "العاملي":

سؤالي لمن يؤيدون دعوة العامي إلى معرفة الله عن طريق معرفة نفسه، كيف توجه جارك وصديقك العامي؟

فهناك منهج نقدي للنفس يقول له: إعرف نفسك أي محدودية وجودك وضعفك، تعرف ربك.

وهناك منهج تمجيد وتقديس للنفس يقول له: إعرف أنك يتجلى فيك الله تعالى، وأنك يمكنك أن تصل إلى درجة الفناء فيه، وتستخدم الملائكة .. إلى آخر مصطلحاتهم.

أعتقد أن الفرق الأساسي بين تربية الائمة عليهم السلام، والمتشرعين من الرواة والفقهاء، وتربية المعروفين من العرفانيين، وهو زاوية التناول والتعامل مع النفس.

فمنهج الأئمة عليهم السلام نقدي تشجيعي متوازن، وقد رأيت ألواناً من أصحاب المنهج النقدي، وفيها ألوان خاطئة يغلب عليها لتوبيخ والقمع وسوء الظن، لكن الذي يهون أمرهم أنهم لم ينصبوا أنفسهم أئمة عرفان وسلوك وعروج!

ورأيت ألواناً من أصحاب المنهج التمجيدي، وغالبها ألوان خاطئة من النفخ المضر، والتغرير! والتعليم على الهرطقة، والإدعاءات الكاذبة.

كنت وما زلت أعبر عن أحدهم: إنه ينسج لنفسه مقامًا من عالم خياله، ويغش الناس فيه، وهو يعلم أنه يصفط تصفيطاً بلا دليل، إلا الاستحسان والإستذواق الفارغ! كما يعلم تلاميذه أن ينسجوا لأنفسهم مقامات ويكذبوا على الناس!

فهل هذا سلوك إلى الله، وعروج بالنفس؟ أو مدرسة لتعليم الكذب باسم الدين والسلوك إلى لله؟

شئنا أم أبينا، سيكثر هؤلاء إن دعونا الناس لمعرفة الله عن طريق معرفة النفس!

وستجدون كذابين يتخطون التخصص والاجتهاد، وكل قواعد المنطق إلى السفسطة وخداع العوام!

- فكتب "الرند العلوي":

يقولون أن التفرقة بين «التزكية» و«النعمة» دقيقة جدًا، وعلينا حسن الظن بالعارفين. فالتزكية والنعمة يشتركان في اظهار جميل النفس ونفي قبائحها، ويختلفان في أن التزكية تعظيم لنفس المزكى، أما النعمة فإنها تعظيم للمنعم سبحانه وتعالى. فالأولى قوله تعالى: {ولا تزكوا أنفسكم}، والثانية: {فأما بنعمة ربك فحدث}.

وقد يخلط بعض في أن كثير من العرفاء يتحدثون في موارد النعم، ويعتقد أنهم في موارد تزكية النفس، فليتأمل!

فلنحسن الظن، فربما يكون نعمة، وليس تزكية!

- كتب "العاملي":

الأخ المحترم،

لماذا تتكلم بابن عم الكلام، ولا تعبر بمدح النفس، ولو رجعت الى أحاديث أهل البيت عليهم السلام في مدح النفس لرأيت العلم والعرفان والعجائب!

معنى كلامك: أنا مهما رأينا ابن عربي وأمثاله يمدحون أنفسهم، ويدعون الوصول إلى درجات الأئمة والأنبياء عليهم السلام، فعلينا أن نحسن الظن ونقول إنهم يطبقون قوله تعالى لرسوله: وأما بنعمة ربك فحدث!

فمديحهم المهول لأنفسهم من النعمة وليس التزكية! فأنت تريدنا أن نحكم بالإيجاب على نوايا أصحاب هذا الإتجاه!

والجواب: أن النوايا غيب لا يمكننا الإطلاع عليها، والقدر المتيقن عندنا نوايا المعصومين صلوات الله عليهم التي هي أصفى من العذب الزلال، وعلى هذا نحمل مدح النبي وآله صلوات الله عليهم لأنفسهم، أما الباقون فمن حصل لنا يقين بصدق نية شخص فهو، وإلا فالأمر يحتمل الإيجاب والنفي.

وحسن الظن بالمؤمنين جيد، لكنه لا يوجب الجزم بنية العرفاني الذي يمدح نفسه!

لمعلوماتك: رأيت بعضهم ممن كنت أعتقد صدقهم ثم انكشف لي(..)*!

- كتب "ابن عباد":

١- في البداية أود أن أجيب على سؤالك عن المناهج فأقول أن نوجه التوجيه بالمنهجين معًا ولعلي هنا أركز على الثاني لاتفاق الجميع على الأول.

* هذا القطع في النص من الشيخ نفسه، حيث اكتفى بذلك [المعد]

من المسلم به أن الله تعالى لا يمكن أن يعرف باستعمال أدوات المعرفة كالسؤال بالأين والمتى والكيف والماهية وغير ذلك، وإنما هو يعرف ﷻ بآثاره، كخلقه مثلاً. وإن من أعظم ما خلق هي النفس لدرجة أن الله سبحانه وتعالى يقسم بها. فالمسألة هنا ليست مسألة تحديد المعرفة بالنفس فقط، وإنما ترتيبها بحيث تكون النفس أفضل وأشرف الطرق.

مولانا العاملي، دعني أرجع لك سؤالك بسؤال مشابه جدً وأكثر تفصيلاً:

٢- أنا عامي وقرأت للسيد الخميني قدس سره ولصدر المتألهين قدس سره أن أفضل طريقة لمعرفة الله تعالى هي معرفة النفس، وأنا أسألك الآن: هل تقول أنني يجب أن أترك منهجيهما؟ لأنهما مخطئان ولأنهما أتيا بما لم يأت به معصوم؟ أم تقول لي مثلاً أن منهجيهما يختلف عن المنهج الذي تنتقده؟ وفي هذه الحالة يرجى التوضيح.

٣- ولدي سؤال آخر، هل وضعت مولاي الكريم في حسبانكم أنكم ربما أسأتم فهم ما يقوله بعض العرفاء؟ وأضرب مثالاً: كثيرون كفروا محيي الدين بن عربي لما قال «عند الوصول للحقيقة يسقط

عن النفس تكليف الشريعة» بسبب عدم فهمهم لمراده، فهل وضعتم في حسبانكم احتمال سوء الفهم؟

٤- هل لي أن أفهم من كلامكم أنكم تقولون بأن هؤلاء يمارسون الكذب الجماعي؟

هناك دائمًا في كل فكر من هو دخيل على هذا الفكر، والعرفان ليس شاذًا عن ذلك، لذا من الخطأ أن نقيس الفكر من خلال اتباعه، فإن وجد هناك من يبالغ ويصل إلى درجة الرهبنة فهذا شأنه لا شأن الحقيقة التي يسعى لها.

٥- أمر آخر أود التطرق له، وهو أن المعطي لمعرفة الله هو الله تعالى لا أحد غيره، ولا يمكن الوصول لمعرفته بالاعتماد على أي شيء آخر، وإنما كل تلك الطرق ومحاولة معرفة النفس إنما هي من باب السعي والاجتهاد لنيل فضل الخالق علينا بالمعرفة، فالقضية ليست أفعل كذا وستحصل على كذا كنتيجة؛ القضية هي اجتهد واسع في درب كذا لعل الله أن يتفضل عليك ببعض المعرفة والحكمة.

- كتب "العاملي":

الأخ المحترم،

١- لا يمكن الجمع بين المنهجين، منهج ابن عربي مثلاً ومنهج الشيخ الصدوق رحمه الله، وقد ذكرت أن الزاوية التي يتعاملون بها مع النفس مختلفة الى حد التضاد.

٢- الأصح أن تقول: فهمت هذا الكلام .. فأين قرأته؟ أعطنا نصه من فضلك، فقد يكون المقصود به نفس المنهج النقدي للنفس الذي يدعو إلى معرفة إمكانها لمعرفة وجوب خالقها، ومعرفة نقاط ضعفها ونقائصها لمعرفة كماله عز وجل.

٣- قال كاتب لشخص لماذا لا تفهم ما أكتب فأجابه لماذا تكتب ما لا يفهم!

فإن كان الناقدون لابن عربي لا يفهمون كلامه، فهو يكتب بلغة أخرى ليست عربية، ولا بد من تسميته ابن غير عربي يكتب بالعربية بمعان غير عربية *!

٤- ليسوا سواء، ففيهم قلة صادقون، وفيهم دون ذلك ودونه.

---

* في الواقع فإن اتهام منتقدي كلمات ابن عربي بعدم الفهم أمر شائع، ولست أدري لم الاتهام دائمًا يوجه للمنتقد ولا يوجه يومًا إلى ابن عربي، فهل تشكيك الناس بفهمهم ووصفهم دومًا بعدم الفهم والقدرة على التذوق والهضم عذر يبرر استخدام الكاتب لألفاظ مزخرفة وكلمات ملتبسة؟ ولمَ لا يكون الامر أن الناس فهمهم صحيح ولكن عبارات ابن عربي خاطئة! [المعد]

٥- هذه المقولة تلغي كل منهجهم. فشكراً لك، بقي لكي نتفق بالكامل أن تضيف أن معرفة النفس بالمنهج النقدي المتوازن، وليس بالنفخ في الذاتية وادعاء الوصول إلى مقامات العروج في الأودية!

كلمة أخيرة أيها العزيز:

إن العرفان ثمرة نورانية يعطيها الله تعالى لعبده، بعد إتقانه عقيدته وأدائه الواجبات وتركه المحرمات، وبقية الشروط. فهو ثمرة وليس هدفاً، وعندما يكون هدفاً فلا يأتي، بل يحصل مكانه التخيلات والظنون، والإدعاءات الكاذبة الفارغة، وأحياناً الضالة، وأحيانا الجهنمية الخطيرة!

وأحسن مثال عليه: الصلاة لله تعالى التي تنتج منها الرياضة البدنية والصلاة للرياضة التي لا ينتج مها لا صلاة ولا رياضة الصلاة التلقائية، بل تكون رياضة عادية وكذب معاً!

خلاصة الإشكالات:

١. أن هذه الدعوة للناس غير عملية ولا يمكن تطبيقها وإن أمكن إطلاقها شعاراً جميلاً!

٢. والدليل عليه أنك وغيرك تعجزون عن تقديم برنامج عملي، يومي أسبوعي سنوي، محدد لجارك العامي للعمل بها.
٣. أنه لا يوجد نص واحد من النبي والأئمة عليهم السلام ولا من أصحابهم يدعو إليها.
٤. أنها بشكلها الموجود تستلزم نصب أئمة مقابل الأئمة عليهم السلام.
٥. أنها تتنافى مع ما ينص على أن معرفة الله بمعرفة الأئمة، لأنهم النموذج الإلهي والقدوة لمعرفته عز وجل، كما يحصر معرفة الله عن طريقهم.
٦. أنها تحكم بالضلال أو الجهل على أجيال المسلمين الذين لم يسلكوا طريقها.
٧. أن سوء التطبيق فيها كثير، حتى ليكاد يضيع الجيدون المقبولون من أتباعها.

ما المانع من عصمة غير المعصوم؟*

* قد لا يكون موضوع هذا الفصل متعلقًا بموضوع العرفان بشكل مباشر، إلا أن له جانبًا لا يكاد يخلو منه متصلٌ بذاك المسلك.، فألقاب التفخيم ودرجات التعظيم والاعتقادات العملية بعصمة العارفين تملأ صفحات الكتب والمقالات ولا تكل منها ألسنة المهتمين بهذا المسلك، ومن هنا فإن التنبيه على حقيقة العصمة، والتفريق ما بين عصمة المعصوم وغير المعصوم لابد منه، فإن رفع السالكين إلى مصاف المعصومين ولو بنحو العمل لا الاعتقاد له من الآثار السلبية ما لا يمكن احصاؤه. [المعد].

أسألُ نفسي: لماذا توجد فينا هذه النزعة والرغبة بأن نعصم غير المعصوم ونجعله قدوةً مطلقةً، بدل أن نجعله قدوةً جزئية؟ أليست أكثر أخطائنا ومصائبنا جاءتنا من عصمتنا لغير المعصوم، واتخاذه قدوة مطلقة!

كنت عندما أرى منه نقطة ضعف في قدوتي أفجع فيه، لكني لا أتوب عن اعتباره قدوة مطلقة فأدافع عنه أمام الآخرين وأمام نفسي إلى آخر لحظة ممكنة!

وآخر لحظة: أن أرى منه نقطة ضعف كبيرة، أو تتراكم نقاط ضعفه، فتكشف عن منهج وعادة في طبعه، فيسقط من عيني من مقامه الكبير!

مثلاً، سمعت أستاذي يوماً ينقل حادثة ويقول: فقلت كذا، أو فعلت كذا. وكانت تلك الحادثة وقعت أمامي ولم يقل أستاذي كذا، ولم يفعل كذا!

فبقيت يوماً أفكر: هل يكذب أستاذي أم ينسى؟

ووصلت إلى نتيجة أنه لشدة حبه أن يكون قال ذلك الشيء أو فعله، يتصور بعد مدة أنه قاله أو فعله!

وانحلت المشكلة في نفسي وقلت: الحمد الله لم يكذب أستاذي وقدوتي.

وحدث لي مع قدوة آخر، أني شكوت له أن جماعة الشيرازي في الكويت يستعملون ضدنا القومية الفارسية، فقال: وأنتم استعملوا ضدهم القومية العربية! فقلت له: كيف يكون ذلك؟ فقال: هم الذين بدؤوا!

فبهتتُ من ذلك ولم أتابع نقاشه! وأخذت أتساءل: سبحان الله اتفق المسلمون على أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (ما بالُ دَعْوَى الجاهلية، دَعُوها فإنها مُنْتِنة). (لسان العرب:١٣/٢٢٦). وأستاذنا يقول: إستفيدوا من هذه المنتنة، فأنا أطيِّبُها وأُحِلُّها! ويطول الكلام عن فجيعتي بمن فجعت بهم.

لكن هدفي هنا أن أنبه إلى خطأ ذريع مخفي في نظرتنا إلى أساتذتنا (والمقصود بهم المعنى العام للأستاذ والقدوة والمعلم أو الشيخ، ما شئت فعبر) عندما نفترض فيهم العصمة، ونحن لا ندري!

يشعر المتدين العادي وطالب العلم خاصة، أنه بحاجة إلى أستاذ قدوة، ويتناقش الطلبة في صفات المراجع وكبار العلماء، فيختار بعضهم زيداً وبعضهم عمرو، ويتعصب بعضهم لزيد وبعضهم لعمرو.

وتبقى المسألة ضمن المعقول مادام أصل الإقتداء مشروعاً. لكن تبدأ المشكلة عندما يأخذ التعصب لهذا المرجع أو العالم شكل الحزبية والغلو في صاحبهم. وهنا يعصم التابع متبوعه دون أن ينتبه!

ولو سألني أحد في تلك الفترة: هل تقول بعصمة فلان؟ لقلت له: لا، لا أقول بعصمته لكني مقتنع بعلمه وإيمانه، وبخطه العملي والسياسي.

لكن الحقيقة أني كنت أحمل القول بعصمته تحت إبطي، ولا أراه!

هنا يحتاج الطالب إلى هزة فكرية، ليفيق ويعرف أنه عصم غير المعصوم! وكان ينبغي وقايته قبل أن يقع في حبٍّ وإعجابٍ مفرط، وقبل أن يُشرَبَ قلبُهُ متبوعه، فيثقل سمعه، ويضعف بصره! ومن أحب شيئاً أعشى بصره!

كان أحدنا ومازال مستعداً لأن يقاتل من أجل فلان، يقاتل اجتماعياً وسياسياً، وبعضهم يقاتل بالفعل، ويقتل خصومه من أتباع الآخرين!

ومن الملاحظ أن طالب العلم في الحوزة العلمية، بل في كل المعاهد العلمية، يشعر أنه بحاجة إلى أن يقتدي بأستاذ، ويعطيه من أوصاف المعصومين عليهم السلام!

أذكر أني اختلفت مع تلميذي وكان من أبناء المراجع، في الشخص القدوة، فقلت له: السيد الصدر، وقال: فلان، فناقشته في أطروحة ذلك الشخص وفهمه للإسلام والعمل له، فدافع عنه، فاتفقنا أن نزوره وأطرح عليه أسئلتي، فذهبنا إلى مسجد الكوفة وصلينا ركعتين برجاء أن يسددنا الله تعالى ويهدينا لما هو الحق.. ثم ذهبنا اليه وطرحت عليه أسئلتي، فأجابني على مزاجي بأنه يفهم الإسلام بأنه دين ودولة، ويرى أنه يجب العمل لإقامة دولة الإسلام، وأن العالم لو رأى عدالة الحكم الإسلامي ولو في مدينة صغيرة كالحلة لاستهوى العالم وكان قدوة.

فقلت له: لماذا لا يظهر هذا الفهم للإسلام عليك وعلى تلاميذك ؟

قال: أنا أربي تلاميذي على أن يطيعوني، وأنا أقوم بواجبي. فقلت له: هذا فيه خطر أن يموت صاحب الأطروحة ولا يعرف بها تلاميذه .. إلى آخر الحديث. وعندما حدثت بذلك السيد الصدر كان يستمع إلي بتلهف ويسألني عن قوله وقولي، وأخبرني بعض زملائي أنه كان يتخوف من علاقتي بذلك الشخص وإعجابه بي أن يجرني اليه!

قال لي نجل أحد المراجع إن أخاه مغرم بأستاذه فلان، فهو يدرس عنده، ويطيعه في كل شيء، فقد أقنعه بكل أفكاره العلمية والإجتماعية والسياسية! وحتى في نظرته إلى المرجعية، ونظرته السلبية إلى والده المرجع!

قال لي نجل المرجع إن والده خاف أن يعتقد ابنه أن أباه لا يفهم، إن قال لولده إنك مغال في النظرة إلى فلان وتقليده له في كل شيء!

قال نجله: كلفني والدي أن أتكلم مع أخي حتى يخفف من غلوه في أستاذه!

وقال لي المرحوم السيد جمال نجل السيد الخوئي (قده): لم يكن من سياسة مرجعية الشيعة مواجهة السلطة لتحل محلها وتتسلم

السلطة بدلها، وغاية ما كان عندها أن تقدم مطالب إصلاحية إلى الحاكم.

لكن أنظر إلى هؤلاء الفتية الناشئين كيف أثاروا السلطة ففتحت نارها عليهم، وعلى الشيعة. وأخذ ينتقد محاولة الإنقلاب التي شارك فيها السيد مهدي الحكيم مع أنه يراها محاولة مخلصة لكنها برأيه السبب في فتح نار السلطة على المرجعية والشيعة.

وأخذ ينتقد السيد مُحَمَّد باقر الصدر (قده) كيف مشى خلف عبد الصاحب دخيل فأعطى بحزب الدعوة المبرر للسلطة، فشنت حملتها على كل ما هو شيعي في العراق.

وكان يصفهما بالسذاجة وعدم تقدير العواقب، ويتعجب من تصور السيد الصدر (قده) أنه إذا استشهد فسوف تتحرك الجماهير في العراق، وسوف يتدخل السيد الخميني قده بجنوده لنصرتهم.

ويتعجب من أن السيد الصدر عندما سجنوه عيَّن قيادة للعراق بعده سماها (القيادة النائبة)! ويسخر من هذه التسمية ويقول بأي وجه شرعي قام بهذا العمل فعين قادة خياليين بعده؟!

وداعبني قده بقوله: أما السيد مهدي فأخواله عوامل، وأما السيد مُحَمَّد باقر فهو كاظمي!

يشير بذلك وصف النجفيين للعامليين والكواظمة بالسذاجة.

قال لي الدكتور المصري الحقوقي علي حسب الله، وهو أستاذ الناصبي المعروف علي السالوس: أنتم لاتروُون عن الصحابة، وتروُون عن علي فقط!

فقلت له مازحاً: إذا كان عليٌّ حسبَ الله، فهو حسبُنا!

قال: وتعصمون أئمتكم الإثنا عشر!

قلت له: أنتم تعصمون الصحابة وهم ألوف، فمَشُّوا لنا عصمة اثني عشر من ضمنهم! قال: نحن لانعصمهم. قلت: اذكر لي خطأً لعمر بن الخطاب!

قال: إنه أخطأ في قبول الطلاق الثلاث، تأديباً لمن طلق به.

فقلت له: أنت بالعكس، وكنت قرأت له كتاباً جاءني به تلميذه السالوس، يدافع فيه عن عمر ويقول إنه من غير المعقول أن يمضي

عمر طلاق الرجل تأديباً له، لأنه كمن يضع يده على رأس من أغرق نفسه بالبحر ويغرقه تأديباً!

قلت له: إنك دافعت عن عمر، ونفيت عنه الخطأ. فبهت الدكتور الناصبي!

وكذلك نحن أتباع زيد وعمرو، لا بد أن نُبْهَتُ عندما ننفي الخطأ عمن نعصمه من غير المعصومين عليهم السلام! لأنه لا فرق بيننا وبين الدكتور علي حسب الله والسالوس! فالذي يعصم غير المعصوم، يصير مغالياً فيه، ناصبياً لغيره!

لذلك، يجب أن نروض أنفسنا على قبول إمكان خطأ غير المعصوم من قدواتنا، قبولاً حقيقياً، فكرياً ونفسياً، وأن الذي أعظمه وأقتدي به وأعتقد أن له حسنات كبيرة وصغيرة لأنه شخصية مميزة في العلم والعمل، قد يكون له أخطاء حقيقية، كبيرة أو صغيرة، لأنه بشر.

إن الدين والمنطق يوجب عليَّ إذا قيل لي إن فلاناً الذي تعظمه وتقدسه عنده معاصٍ كبيرة أو صغيرة، أن أقول: هذا ممكن، فالأمر كما يقول ابن سينا: كل ما طرق سمعك من الغرائب فذره في بقعة

الإمكان، مالم يَذُدْكَ عنه واضح البرهان. فإن ثبت فلا حول ولا قوة إلا بالله، وإن ثبت فأتألم لكني لا أفجع ولا أدافع ولا أكابر، لأنه بشر غير معصوم!

يمكن أن أسمي شخصية له أخطاء فظيعة، وخدمات بليغة! هو العالم الأفغاني الشيعي آية الله محسن آصفي، فهو من تلاميذ السيد الخوئي (قده)، لكنه صاحب أفكار خاصة في العقائد والمباني العلمية تخالف مشهور المذهب حيث يُضَعِّف الأحاديث أحياناً لأنها لا تعجبه، أو يبحث أسانيدها على أساس أربعة كتب رجالية فقط، يقول ليس عندي غيرها، فإن لم يجد توثيقاً للراوي فيها حكم بأن الرواية ضعيفة أو موضوعة!

وقد كتب على أساس ذلك كتابه: "مَشرعة البحار"، وانتقده العلماء وطلبة الحوزات العلمية، وتحامل عليه المتشددون في المذهب، وكتبوا ضد أسلوبه ومنهجه، وكتبت أنا موضوعاً في نقده في شبكة هجر بعنوان: قصّاب البحار!

ثم سمعت من الأفغانيين أن له حسنات كبيرة وخدمات جليلة للإسلام ومذهب أهل البيت عليهم السلام، ومما سمعته أن الشيخ محسن بسلوكه الرفيع فرض احترامه على الجميع ومنهم الرئيس كرزاي، وإن اختلف عنهم في المذهب.

وقد تمكن الشيخ محسن ومن ساعده جزاهم الله خيراً، أن يفرضوا على الحكومة الإعتراف بالمذهب الشيعي مذهباً رسمياً في أفغانستان، بعد أن كان مذهباً مضطهداً غير معترف به! كما تمكن من إنشاء جامعة علمية كبيرة في كابل ضمت ألوف الطلبة، لتدريس المذهب الشيعي والمذاهب الأربعة.

كما أخبرني أحدهم أن غيرة هذا الشيخ على مذهب أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم عالية، فقد سمع يوماً أحد زعماء الأفغان (ربّاني) يتكلم على الشيعة بروح وهابية، فغضب الشيخ محسن واتصل بكرزاي تلفونياً فلم يجده، فاتصل بزوجته وقال لها: أخبريه الآن أينما كان، ليسكِّتْ هذا الشخص السافل، وإلا فسأملأ كابل من الشيعة، ليعترضوا عليه ويؤدبوه!

فبادر كرزاي إلى معالجة الموضوع، وألزم رباني المسيء بالإعتذار عن كلامه!

فالمنطق يوجب علينا نقد أخطاء هذا الشيخ، وشكره على خدماته وحسناته.

وما نقبله لعالم أفغاني بعيد عنا جغرافياً، يجب أن نقبله لعالم أقرب الينا في النجف أو قم أو لبنان، حتى لا نقع فيه بعصمة غير المعصوم!

من يقبل أن يقال: إن فلاناً العالم صاحب الحسنات الضخمة قد فتح أبواب جهنم على الحوزة والشيعة في العراق، لأنه طرح العمل لتسلم السلطة؟

ومن يقبل أن يقال: إن فلاناً العالم صاحب الخدمات الضخمة، هو أول من علم الناس التطاول على المراجع، ففتح الألسنة السليطة عليهم، وبذلك استرخص الأغرار المرجعية وادعوا أنهم أعلم، ودعوهم إلى مباهلتهم!

لماذا لا نقبل أن يكون عند أحدهم حسنات كبيرة، وسيئات كبيرة معاً؟

في الختام، أدعو أتباع غير المعصومين إلى قبول الإقتداء الجزئي بدل الكلي، ومعناه: أن الشخص فيه صفات جيدة فنقتدي به فيها،

كالجدية والدأب، والفكر السياسي، والإجتماعي، وعشرات الصفات الأخرى.

وفيه نقاط ضعف أو معاصٍ، نبتعد عنها ولا نرضاها لنا ولا له، كمبالغته في مدح نفسه، ومدحه لعائلته وأسرته، وذمه لمن يختلف معه في السليقة، أو في الرأي، أو ينتقده ويعاديه، أو في إنكاره جميل من جرت نعمة الله له على يده فدرس عنده، أو ساعده في رشده العلمي أو في معيشته.

ومعناه: أنه يمكن أن يكون في هذا المرجع صفات تؤهله لأن أقلده وآخذ منه أحكام ديني، فهو أعلم الفقهاء في عصرنا أو من أوائلهم، وهو عادل لا يرتكب حراماً عادة، وإن وقع في حرام وانتبه بادر بالتوبة إلى ربه تعالى.

أما في بقية الصفات فأمره متفاوت، فهو في بعضها محلق، كما هو في الفقه والتقوى، وفي بعضها متوسط، وفي بعضها ضعيف!

وهذا لا ينقص من مقامه كمرجع جامع للشرائط، لكن يخرجه عن الإطلاق الذي نميل اليه، وعن العصمة التي نحب أن نسرقها من أهلها، ونصفه بها!

غير المعصوم لا يكون قدوة مطلقة

في كل المجتمعات يوجد ائتمام واتباع، وتمحورٌ حول رئيس ديني أو دنيوي، وتكثر أنواع الرؤساء أو القدوات، وتتنوع قواعد اختيار المتبوع وطاعته.

وأكثر الإتِّبَاع في القرآن مذموم، قال الله تعالى: وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا. وقال: إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ. وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا.

وبعضه اتباعٌ ممدوح، قال تعالى: وَالسَّابِقُونَ الأَوَلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ. وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ.

وقد وضعت الأديان شروطاً لمن يُتبع ويُطاع، لكن الناس يخالفون شروط الأديان والرسل عليهم السلام ولا يتقيدون بها، ويغضبون إذا صارحتهم بذلك!

وقد تفرد تفسير الإمام العسكري عليه السلام برواية تبين صفات من يصح الإقتداء به، وتعلمك كيف تمتحنه لتعرف تحقق الشروط فيه! قال عليه السلام /٥٣:

(وأما قول علي بن الحسين عليهما السلام فإنه قال: إذا رأيتم الرجل قد حَسَّنَ سَمْتَهُ وهديه، وتماوت في منطقه، وتخاضع في حركاته، فرويداً لا يغرنكم، فما أكثر من يعجزه تناول الدنيا، وركوب المحارم منها، لضعف نيته ومهانته، وجُبن قلبه، فنصب الدين فخاً لها، فهو لا يزل يختل الناس بظاهره، فإن تمكن من حرام اقتحمه. فإذا وجدتموه يعف من المال الحرام، فرويداً لا يغرنكم، فإن شهوات الخلق مختلفة، فما أكثر من ينبو عن المال الحرام وإن كثر، ويحمل نفسه على شوهاء قبيحة، فيأتي منها محرماً!

فإذا وجدتموه يعفُّ عن ذلك، فرويداً لا يغرنكم حتى تنظروا ما عَقَدَهُ عقلُه فما أكثر من يترك ذلك أجمع، ثم لا يرجع إلى عقل متين، فيكون ما يفسده بجهله أكثر مما يصلحه بعقله.

فإذا وجدتم عقله متيناً فرويداً لا يغرنكم، حتى تنظروا مع هواه يكون على عقله، أو يكون مع عقله على هواه؟ وكيف محبته للرئاسات الباطلة وزهده فيها، فإن في الناس من خسر الدنيا والآخرة بترك

الدنيا للدنيا، ويرى أن لذة الرئاسة الباطلة أفضل من لذة الأموال والنعم المباحة المحللة، فيترك ذلك أجمع طلباً للرئاسة، حتى إذا: قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالآثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ. فهو يخبط خبط عشواء، يقوده أولُ باطلٍ إلى أبعد غايات الخسارة، ويمد يده بعد طلبه لما لا يقدر عليه في طغيانه، فهو يحل ما حرم الله ويحرم ما أحل الله، لا يبالي ما فات من دينه إذا سلمت له رئاسته، التي قد شقيَ من أجلها. فأولئك مع الذين غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ.. وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا. ولكن الرجل كل الرجل نعم الرجل، هو الذي جعل هواه تبعاً لأمر الله وقواه مبذولةً في رضاء الله تعالى، يرى الذل مع الحق أقرب إلى عز الأبد من العز في الباطل، ويعلم أن قليل ما يحتمله من ضرائها يؤديه إلى دوام النعم في دار لا تبيد ولا تنفد، وإن كثير ما يلحقه من سرائها إن اتبع هواه يؤديه إلى عذاب لا انقطاع له و لا زوال. فذلكم الرجل نعم الرجل فبه فتمسكوا وبسنته فاقتدوا وإلى ربكم فبه فتوسلوا، فإنه لاترد له دعوة ولا تخيب له طلبة).

ملاحظات:

١. مقصود الإمام زين العابدين عليه السلام بهذا الحديث النهي عن الإقتداء بغير المعصوم وقد صرح به الإمام الصادق عليه السلام

بقوله (الكافي:٢٩٨/٢): (عن أبي حمزة الثمالي قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: إياك والرئاسة، وإياك أن تطأ أعقاب الرجال، قال قلت: جعلت فداك أما الرئاسة فقد عرفتها، وأما أن أطأ أعقاب الرجال فما ثلثا ما في يدي إلا مما وطئت أعقاب الرجال. فقال لي: ليس حيث تذهب، إياك أن تنصب رجلاً دون الحجة، فتصدقه في كل ما قال).

ومعنى نَصَبَ رجل دون الحجة: اتخذ رجلاً قدوةً وإماماً، مقابل المعصوم الذي نصبه الله تعالى، وهذا يعني أن المتَّخذ من دون الإمام عليه السلام متخذ من دون الرسول ﷺ ومن دون الله عز وجل، كما قال الله تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا للَّهِ.

وهذا يعني نوعاً من الكفر العملي لمن لم يطع المعصوم وأطاع غيره، وإن لم تجر عليه أحكام الكافر والمشرك!

٢. يعني ما تقدم أن نصب الشخص مقابل المعصوم عليه السلام ضلال، والإقتداء بمن خالف المعصوم عليه السلام ضلال. إلا بشرطين: الأول: أن لا تعصمه. والثاني: أن لا يخالف في توجهه المعصوم عليه السلام، وهذا يتوقف على أن تعرف حكم المعصوم في الأمر إما باجتهاد أو بتقليد.

٣. يتضح أن الإمام زين العابدين عليه السلام يقصد وجوب التشدد في شروط من تقتدي به، وضرورة امتحانه، وذلك بعد أن يكون مستوفياً للشرطين الأصليين وهما أن لا تنصبه دون الحجة، ولا يكون مخالفاً للحجة. فبعد إحرازهما إمتحنه بالمواد الأربعة التي ذكرها عليه السلام: المال، والجنس، والعقل، وتغليب عقله على هواه.

وما أقل الذين امتحنوا منا من اقتدوا به في جميع هذه المواد ؟!

ويؤيد ذلك قول الإمام العسكري عليه السلام في تفسيره ص٦٧٤: (قال أمير المؤمنين عليه السلام: مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ: ممن ترضون دينه وأمانته، وصلاحه وعفته، وتيقظه فيما يشهد به، وتحصيله وتمييزه. فما كل صالح مميز، ولا محصل، ولا كل محصل مميز صالح، وإن من عباد الله لمن هو أهل لصلاحه وعفته، لو شهد لم تقبل شهادته لقلة تمييزه. فإذا كان صالحاً عفيفاً، مميزاً محصلاً، مجانباً للمعصية والهوى والميل والتحامل، فذلكم الرجل الفاضل، فبه فتمسكوا وبهديه فاقتدوا. وإن انقطع عنكم المطر فاستمطروا به، وإن امتنع عليكم النبات فاستخرجوا به النبات، وإن تعذر عليكم

الرزق فاستدروا به الرزق، فإن ذلك ممن لا تخيب طلبته، ولا ترد مسألته).

وما أقل الذين امتحنوا منا من اقتدوا به في جميع هذه المواد، قبل أن يتمسكوا به ويدعوا الناس اليه، وقبل أن يستمطروا به فلا يمطرون، ويستخرجوا به النبات فيخرج شوكاً ويقولون إنه نبات أحوى؟!

٤. أمر النبي صلى الله عليه وآله أمته باتباع الأئمة من عترته من بعده صلى الله عليه وآله والإقتداء بهم، وقد تواترت الرواية عنه في ذلك، كالذي رواه الخزاز في كفاية الأثر ص١١١: (عن واثلة بن الأسفع قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنزلوا أهل بيتي بمنزلة الرأس من الجسد وبمنزلة العينين من الرأس، وإن الرأس لا يهتدي إلا بالعينين. إقتدوا بهم من بعدي، لن تضلوا. فسألنا عن الأئمة قال: الأئمة بعدي من عترتي، أو قال من أهل بيتي، عدد نقباء بني إسرائيل).

والذي رواه الصدوق في معاني الأخبار ص١١٤: (عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله': إقتدوا بالشمس فإذا غابت الشمس فاقتدوا بالقمر، فإذا غاب القمر فاقتدوا بالزهرة، فإذا غابت الزهرة

فاقتدوا بالفرقدين.فقالوا: يا رسول الله فما الشمس، وما القمر، وما الزهرة، وما الفرقدان؟ فقال: أنا الشمس، وعلي القمر، والزهرة فاطمة، والفرقدان الحسن والحسين)

وقد وضع رواة السلطة مقابل هذا الحديث أحاديث في اتباع أبي بكر وعمر! وردها بعض نقاد الحديث، وكذبوا راويها الذي هو من ذرية عمر!

فقد روى الحاكم (٧٥/٣): (عن حذيفة: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إقتدوا باللذيْن من بعدي أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمار، وتمسكوا بعهد ابن أم عبد).

وفي كشف الخفاء (١٦٠/١): (رواه أحمد والترمذي وابن ماجة عن حذيفة.. والطبراني عن أنس، وله من حديث أبي الدرداء:إقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر فإنهما حبل الله الممدود، ومن تمسك بهما فقد تمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها).

وقال ابن حجر في لسان الميزان (٢٣٧/٥): (مُحَمَّد بن عبد الله بن عمروي العمري. ذكره العقيلي فقال: لايصح حديثه ولايعرف بنقل الحد يث، حدثنا أحمد بن خليل قال ثنا إبراهيم بن مُحَمَّد الحلبي

حدثني مُحَمَّد بن عبد الله بن عمر بن القاسم، انا مالك، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنه، عن ابن القاسم بن عبد الله بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب، عنهما مرفوعاً: إقتدوا باللذيْن من بعدي أبي بكر وعمر. فهذا لا أصل له من حديث مالك، بل هو معروف من حديث حذيفة بن اليمان.

وقال الدارقطني: العمري هذا يحدث عن مالك بأباطيل. وقال ابن مندة: له مناكير.انتهى. وقال العقيلي بعد تخريجه: هذا حديث منكرٌ لا أصل له. وأخرجه الدارقطني من رواية أحمد الخليلي الضمري، بسنده وساق بسند كذلك، ثم قال: لايثبت، والعمري هذا ضعيف.

ثم أخرجه عن العباس بن عقدة عن يونس بن سابق، ثنا مُحَمَّد بن خالد العمري، ثنا مالك به، وقال: كذا قال مُحَمَّد بن خالد العمري، وأشار إلى أنه واحد اختلف في اسم أبيه، ويحتمل أن يكون آخر. وسيأتي القول في يونس بن سابق شيخ ابن عقدة..وقال الدارقطني: مُحَمَّد بن عبد الله العمري، هذا منكر الحديث، يحدث عن مالك بأباطيل).

وقال الجاحظ في العثمانية/١٣٥: (ويروون أن النبي صلى الله عليه قال: إقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر. وقد تعلمون أن

إسناده عبد الملك، عن ربعي عن حذيفة. والآخر سلمة بن كهيل، عن أبي الزعراء، عن عبد الله!

ويروون أن النبي صلى الله عليه نظر إلى أبي بكر وعمر مقبلين فقال: هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين، إلا الأنبياء والمرسلين، يا علي لا تخبرهما. فزعموا جميعاً أن علياً قال: ولو كانا حيين ما حدثتكم.

ويروون جميعاً أن علياً قام في الناس خطيباً فقال: ألا إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر والثاني عمر، ولو شئت أن أخبركم بالثالث فعلت، فكنى عن ذكر عثمان. ويروون أن النبي صلى الله عليه لما أسس مسجد المدينة جاء بحجر فوضعه، ثم جاء أبو بكر بحجر فوضعه، ثم جاء عمر بحجر فوضعه ثم جاء عثمان بحجر فوضعه، فسئل النبي صلى الله عليه عن ذلك فقال: هم لأمر الخلافة من بعدي).

هذا وقد ردَّ الإمام الرضا عليه السلام حديث الإقتداء بأبي بكر وعمر، لما سأله عنه المأمون، ورده الإمام الجواد عليه السلام لما سأله عنه الفقهاء.

٥. بحث فقهاؤنا حديث الإمام زين العابدين عليه السلام: "لايغرنكم الرجل.." في بحث العدالة، وتوسع فيه علماء البحرين. (الحدائق: ٥٨/١٠، والدرة النجفيه:٤٥٤/٢).

هل يصح القول إن أصل الشرور عصمة غير المعصوم؟!

في الكافي (٣٧٤/١) عن عمرو بن ثابت، عن جابر قال: سألت أبا جعفر ع عن قول الله عز وجل: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا للَّهِ. قال: هم والله أولياء فلان وفلان، اتخذوهم أئمة دون الإمام الذي جعله الله للناس إماماً، فلذلك قال: وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا.. الآيتين.. ثم قال أبو جعفر عليه السلام: هم والله يا جابر أئمة الظلمة وأشياعهم).

وفي تفسير الإمام العسكري عليه السلام ص٥٧٨ قال الإمام عليه السلام:ولو يرى الذين ظلموا باتخاذ الأصنام أنداداً، واتخاذ الكفار والفجار أمثالاً لمحمد وعلي عليهما السلام).

وفي تفسير الطبري (٩٢/٢) وابن أبي حاتم (١ /٢٧٦): (عن السدي: الأنداد من الرجال، يطيعونهم كما يطيعون الله، إذا أمروهم أطاعوهم وعصوا الله).

وقال علي عليه السلام (النهج:١/١٠٠): (إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع، وأحكام تبتدع يُخَالَفُ فيها كتاب الله، ويتولى عليها رجالٌ رجالاً على غير دين الله).

أقول: في هذه الآيات والأحاديث الشريفة بحوث مهمة، ونكتفي هنا بالإلفات إلى وصف أمير المؤمنين عليه السلام ولادة الفتنة في المجتمع وَتَكَوُّنُها، فبذرتها هوى عند شخص أو أكثر، يتبعه شخص أو أكثر، ثم يُنَظَّر له بحكم مخالف للقرآن يُبتدع، ثم يتعصب لذلك الفكر أشخاص ويتولون عليه شخصاً أو أشخاصاً فيعصمونهم ويخرجون بذلك عن دين الله تعالى!

كما نلفت إلى أن مفسري السلطة يريدون تفسير الأنداد بالأصنام، لإبعاد الآية عن زعمائهم الذين يطيعونهم، لكن السدي وغيره قالوا إنهم أشخاص يطاعون من دون الله تعالى، ويعصمهم أتباعهم!

وقد أقسم الإمام مُحَمَّد الباقر عليه السلام أن الأنداد هم أئمة الظلمة، ثم فسرهم الإمام العسكري عليه السلام بالأعم من الأنداد بمعنى الأصنام، وأئمة الظلمة، فهؤلاء قسم من الأنداد، لكنه سماهم أمثالاً للنبي، وللإمام بعده.

أم أن عصمة المعصوم نفعها أكثر من ضررها ؟

توجد وجهة نظر تقول: لماذا تضيق صدورنا بعصمة الناس لأشخاص غير معصومين، أليس ذلك أفضل من تفرقهم وعدم ثقتهم ؟

أليس الخطأ في الثقة والإقتداء أفضل من التفرق وركوب كل إنسان رأسه ؟

يقول أصحاب هذا الرأي: إن الله تعالى أودع في الإنسان غريزة النزوع إلى الكمال، والبحث عن الشخص الكامل والإقتداء به. فإن لم يجده فهو يفترضه في أحسن من وجده.

ويقول صاحب هذه النظرية: إن الذي يفرض شخصاً معصوماً غير مسؤول لأن عمله لاشعوري ومن باب عمل العقل في اللاوعي [!].

ويقول إنها نظرية إسلامية يدل عليها قول الإمام الباقر عليه السلام كما في الكافي (١٢٧/٢): (لو أن رجلا أحب رجلا لله لأثابه الله على حبه إياه وإن كان المحبوب في علم الله من أهل النار. ولو أن رجلا أبغض رجلا لله لأثابه الله على بغضه إياه وإن كان المبغض في علم الله من أهل الجنة).

بل إن التوعية التي يتصورها أحدنا واجبة، لا تجب على الإنسان فقد كان بعضهم يتلقى الذين يجلبون بضائع خارج المدينة ويحذرهم من التجار في المدينة وعلمهم الأسعار، ففي الكافي (١٦٨/٥): (عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يتلقى أحدكم تجارة خارجاً من المصر ولا يبيع حاضر لباد والمسلمون يرزق الله بعضهم من بعض).

فهذه وجهة نظر تقول: لا الوقوف في وجه من يعصم غير المعصوم واجبة، ولا توعية الناس على الموضوعات واجبة. فدعوا الناس يعتقدون في بعضهم ما شاؤوا، وطبقوا أنتم الحكم الشرعي الذي يخصكم تجاههم فقط.

•••

تم بحمد الله

"... فالتصوف ليس في لبس ثياب الصوف واجتناب الثياب الفاخرة، ولا في أكل الشعير وترك ما أنعم الله به من اللّذات، وإنما التصوف العمل بأوامر الشريعة ونواهيها وترك شبهاتها والزهد فيها، قال الصادق عليه السلام: ليس الزهد في الدنيا بإضاعة المال ولا تحريم الحلال بل الزهد في الدنيا أن لا تكون بما في يدك أوثق منك بما عند الله تعالى وقال أمير المؤمنين عليه السلام: الزهد في الدنيا قصر الامل وشكر كل نعمة والورع عن كل ما حرّم الله تعالى. وإن أردت العالِم الورع فهم علماء شيعتنا في جميع الأعصار ..."

السيد نعمة الله الجزائري

الأنوار النعمانية ٢/٢٢٤